htm



البابا شنوده الثالث

أيّوبّ الصدّيق
ولماذا كانت تجربته؟

البابا شنوده الثالث

أيّوب الصدّيق ولماذا كانت تجربته؟

الطبعة الثانية

أكتوبر ٢٠٠٠

القاهرة

2nd Print

Oct. 2000

Cairo

الكتاب : أيوب الصديق ولماذا كانت تجربته .

المؤلف : قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث .

الناشر : الكلية الإكليريكية - العباسية - القاهرة .

المطبعة : الأنبا رويس الأوفست - العباسية .

الطبعة : الأولى مارس ١٩٩٨ .



قداسة البابا شنوده الثالث
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

المقدمة

كثير من الناس لا يعرفون عن تجربة أيوب الصديق، سوى الإصحاحين الأولين الخاصين بالتجربة، والإصحاح الأخير الخاص بنهايتها، دون قراءة كل السفر والتأمل فيه وهو يشمل ٤٢إصحاحاً!

وقد رأينا في هذا الكتاب أن ندخل إلى أعماق السفر كله، في تأمل لما ورد فيه آية آية ..

وقد كان موضعاً لمحاضرة ألقيتها في الإسكندرية في سنة ١٩٦٣ (منذ ٣٥ سنة). ثم محاضرة ألقيتها في القاهرة. ثم كتبت مقالاً عنه في جريدة وطني سنة ١٩٧٢. وقد شاء الله أن نصدر هذا الكتاب عنه ليشمل كل ما سبق مع إضافات ...

لماذا سمح الله بتجربة أيوب على الرغم من كماله واستقامته؟

قطعاً ، كان ذلك لفائدته روحياً، لكي يتخلص من حروب روحية، تتعبه، حتى لو لم يكن يشعر بها .

كان باراً ، يعرف عن نفسه أنه بار . وكان هذا يتعبه .

فلما اتهمه أصحابه بأنه لابد أن تجربته كان سببها خطاياه وعقوبة الله له، حينئذ ثار عليهم أيوب، وبدأ يدافع عن نفسه. وفى دفاعه وقع فى الافتخار، وفى البر الذاتى. وفى عتاب شديد مع الله!!

أصحاب أيوب الذين أخطأوا فى حقه كانوا ثلاثة، هم أليفاز التيمانى، وبلدد الشوحى، وصوفر النعمانى، فماذا كانت أخطاؤهم؟

كان هناك رابع هو "أليهو بن برخئيل البوزى من عشير رام" .

وهو الوحيد الذى لم يوبخه الله . فماذا قال ؟

ثم تكلم الله من العاصفة . فماذا قال موبخاً أيوب .

هذا ما ستقرأ عنه فى هذا الكتاب...

وستقرأ عن كيف انتهت تجربة أيوب . وماذا كانت نتائجها؟

وكيف أعاد الله البناء الروحى لأيوب ، على أساس من الانسحاق .

مارس ١٩٩٨ **البابا شنوده الثالث**

"١"

فى أىّ عَصر عاش أيّوبُ الصدّيق ومَا موطنه ؟

بَلد أيـوب

ورد في أول السفر "كان رجـل فـى أرض عـوص اسـمه أيـوب (أى١: ١) . وأنه "كان أعظم بنى المشرق" (أى١: ٣) .

إذن كان أيوب يعيش فى بلاد المشرق .

فما هى أرض عوص ، موطنه ؟

ذكر اسم (عوص) ونسبه مرتين فى سفر التكوين :

١ - قيل إن عوص هو ابن آرام بن سام بن نوح (تك١٠: ٢٢، ٢٣) .

٢ - وقيل إن (عوص) هو بكر ناحور (أخى أبينا ابراهيم) من امرأته ملكه (تك٢٢: ٢٠، ٢١) .

وإلى إسم عوص هذا انتمت أرض عوص، سواء كان حفيد سام بن نوح، أو كان ابن أخى ابراهيم .

زمن أيوب

قيل إنه عاش فى الفترة ما بين نوح وابراهيم . ولكن لو فحصنا العصر الذى عاش فيه أصحابه : أليفاز التيمانى، وبلدد الشوحى، وصوفر النعمانى (أنظر ص٣٦، ٣٧)، لوجدنا أنه عاش بعد عيسو ويعقوب .

وعلى أية الحالات لابد أنه عاش فى عصر الآباء البطاركة الأول، قبل موسى وأخيه هارون .

فما هى الأدلة على ذلك؟ والتى هى نفس الأدلة التى تبرهن على أن سفر أيوب كان أقدم من أسفار موسى الخمسة؟ .. نذكر من هذه الأدلة :

✠ ✠ ✠

١ - كان أيوب فى عصر ما قبل الكهنوت الهارونى .

كان قبل العصر الذى انحصر فيه الكهنوت فى بنى هارون حسب أمر الرب لعبده موسى (خر٤٠: ١٣- ١٥) (لا٨: ١٢، ١٣). ولم يكن أيوب من بنى هرون (عد٣: ٢- ٤) (١أى٦: ٣- ١٥)

بل كان فى العصر الذى كان فيه الأب هو كاهن الأسرة :

ذلك أنه كما ورد فى الاصحاح الأول من سفره "وكان بنوه يذهبون ويعملون وليمة فى بيت كل واحد منهم فى يومه .. وكان

لما دارت أيام الوليمة، أن أيوب أرسل فقدسهم، وبكّر فى الغد وأصعد محرقات على عددهم كلهم. لأن أيوب قال : ربما أخطأ بنىّ وجدفوا على الله فى قلوبهم. هكذا كان أيوب يفعل كل الأيام" (أى١: ٤، ٥) .

وهذا هو النظام الذى كان يحدث فى أيام الآباء الأول (الآباء البطاركة، رؤساء الآباء) نوح، وابراهيم، واسحق، ويعقوب. أولئك الذين كانوا يقدمون الذبائح عن أنفسهم وعن أبنائهم .

✠ ✠ ✠

ومما يثبت هذا أنه كان يقدم محرقات .

وكان هذا هو ما يفعله الآباء الأول ، كانت ذبائحهم كلها محرقات. أما منذ عهد موسى وهارون، فقد وجدت أيضاً أنواع أخرى من الذبائح يقدمها الناس عن خطاياهم، مثل ذبيحة الخطية وذبيحة الإثم (لا٤، ٥)، بالإضافة إلى المحرقات، والفصح (خر ١٢)، مع طقوس معينة ...

✠ ✠ ✠

٢ – لم يرد اسم أيوب فى كل قوائم الآباء منذ موسى .

لم يرد اسمه فى كل سلسلة الأنساب التى سجلت نسل الأسباط الإثنى عشر، سواء فى سفر العدد (عد١– ٤) ولا فى القوائم التى وردت فى السفر الأول لأخبار الأيام (١أى١– ٩) مما يدل على أنه

قبل ذلك العصر. كما لم يرد فى أية سلسلة أنساب أخرى لذلك الزمان .

✠ ✠ ✠

٣ – لم يرد فى سفر أيوب أية أشارة عن تلك العصور .

فعلى الرغم من أن أليفاز التيمانى قال لأيوب "إلى أى القديسين تلتفت؟" (أى٥: ١). وقال له بلدد الشوحى "اسأل القرون الأولى، وتأكد مباحث آبائهم" (أى٨: ٨). وقال له صوفر النعمانى "أما علمت هذا منذ القديم، منذ وُضع الإنسان على الأرض.." (أى٢٠: ٤) .. إلا أنه لم يذكر واحد من هؤلاء اسم أحد من قديسى العهد القديم ليستشهد به .

✠ ✠ ✠

٤ – كذلك فى الكلام عن عظمة الله، لم يُذكر شئ فى سفر أيوب عن المعجزات العجيبة التى صنعها الله مع شعبه!!

لم يذكر أى شئ مثلاً عن شق البحر الأحمر، أو عن العجائب والضربات العشر التى أجراها الله فى مصر، ولا عن ضربة الصخرة ففجرت ماء، ولا عن المن والسلوى، ولا عن السحابة التى تظللهم نهاراً، وعمود النار الذى كان يهديهم ليلاً، ولا عن معجزات الله فى حروبهم مع الأمم الوثنية .

✠ ✠ ✠

كل ما ذُكر فى سفر أيوب فى اثبات قوة الله، هو قوة الله فى الخلق، وفى السيطرة على الطبيعة، وما يخص الحيوانات والطيور العجيبة، و الجبال والسماء وكواكب الصبح.. وما أشبه ذلك.. حتى فى حديث الله مع أيوب، أو فى حديث أليهو معه، لإقناعه بعظمة العليّ القدير .

✠ ✠ ✠

حادثة تاريخية واحدة ذكرها أيوب وهو يشتهى لو كان قد مات بعد ولادته مباشرة. قال "حينئذ كنت قد نمت مستريحاً، مع ملوك ومشيرى الأرض الذين بنوا أهراماً لأنفسهم" (أى٣: ١٣، ١٤) . والمعروف أن الأهرامات العظيمة مثل هرم سقارة المدرج، وهرمى دهشور وميدوم، والأهرامات الثلاثة الكبرى كانت فى الفترة من ٣٥٠٠ق.م.، ٣٠٠٠ سنة ق.م. أى قبل موسى النبى بزمان، هذا الذى قهر فرعون فى الأسرة التاسعة عشرة لقدماء المصريين ..!

✠ ✠ ✠

٥ - يستدل على عصر أيوب الصديق، من عامل الأعمار فى ذلك الزمان ...

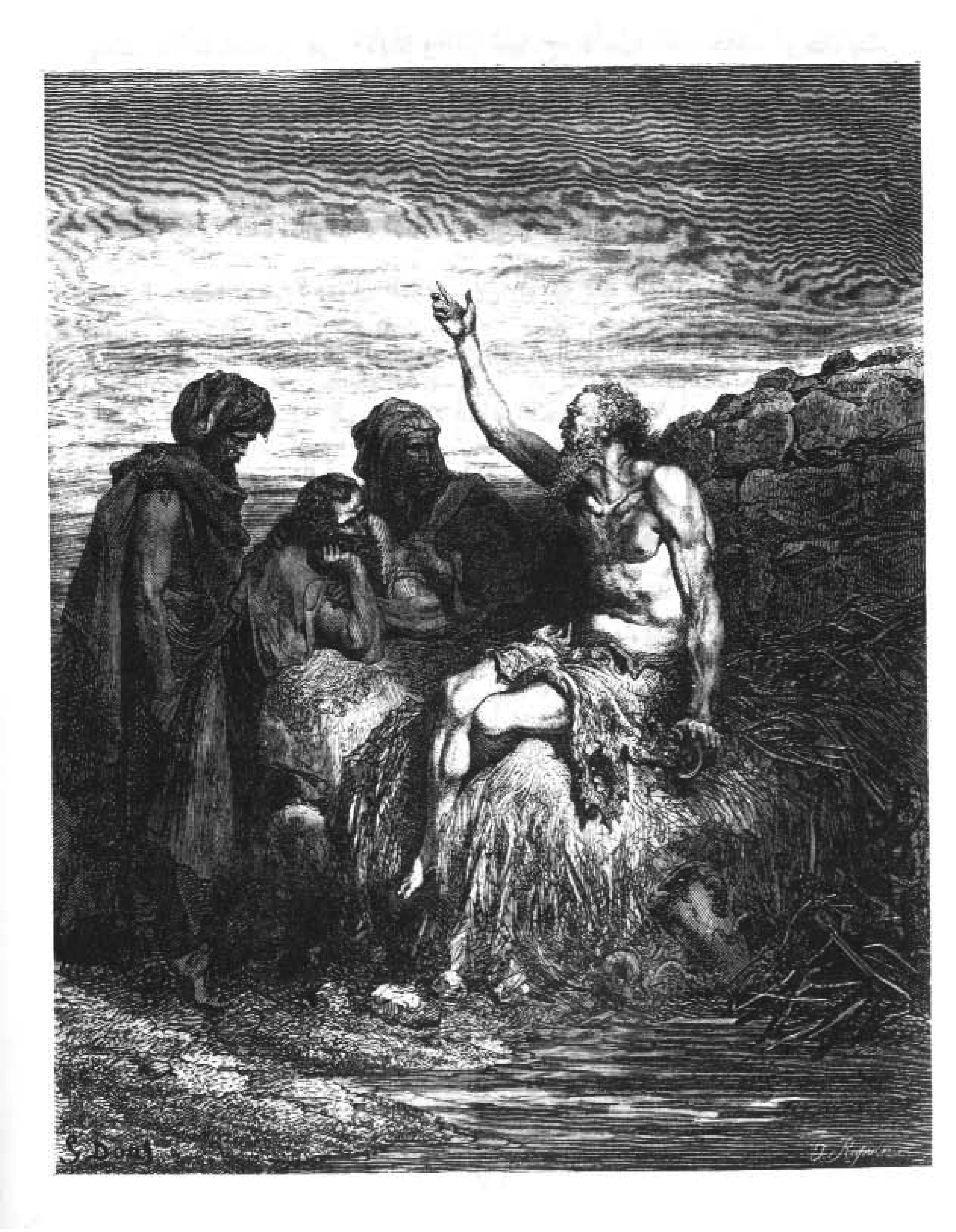
المعروف أنه حينما حلت التجربة بأيوب كان شيخاً، وكذلك كان أصحابه الثلاثة. ولذلك قال لهم أليهو بن برخئيل البوزى، لما بدأ

يتكلم : "أنا صغير فى الأيام وأنتم شيوخ، لأجل ذلك خفت وخشيت أن أبدى لكم رأيى. قلت الأيام تتكلم، وكثرة السنين تظهر حكمة.." (أى٣٢: ٦، ٧) .

فلو كان عمر أيوب وقت التجربة ٧٠ أو ٨٠ سنة، فماذا كان عمره حينما توفى؟ يقول الكتاب إن أيوب بعد التجربة "عاش مائة وأربعين سنة. ورأى بنيه وبنى بنيه إلى أربعة أجيال" (أى٤٢: ١٦). هذا بالإضافة إلى عمره أثناء التجربة (٧٠ أو ٨٠) .

فيكون العمر الذى عاشه أيوب حوالى ٢١٠ عاماً أو أكثر. وهو أكبر من عمر كل من ابراهيم واسحق ويعقوب! .

لقد عاش ابونا ابراهيم ١٧٥ سنة (تك:٢٥ ٧). وعاش ابنه اسحق ١٨٠سنة (تك:٣٥ ٢٨). وعاش يعقوب ١٣٠ سنة حين قابل فرعون (تك:٤٧ ٩). وعاش بعدها ١٧ سنة، فتكون كل أيام حياته ١٤٧ سنة (تك:٤٧ ٢٨). وعاش يوسف ١١٠ سنة (تك:٥٠ ٢٥). أما أيوب فعاش أزيد من ٢١٠ سنة. إذن هو من جيل الآباء الأول (حتى موسى عاش ١٢٠ سنة) (تث٣٤: ٧) ...



"٢"

تجربـة أيّـوب الصدّيق

لماذا كانت؟
وكيف كانت؟
وما نتائجها؟

السؤال الذى يتبادر إلى أذهان الكثيرين هو: لماذا جرّب أيوب؟

لم تكن التجربة المزدوجة التى أحاطت به، بسبب خطية ارتكبها.. فقد شهد الله نفسه له مرتين إنه "ليس مثله فى الأرض. رجل كامل ومستقيم، يتقى الله، ويحيد عن الشر" (أى١: ٨) (أى٢: ٣) .

بل إن الله فى سفر حزقيال النبى، وضع أيوب الصديق ضمن الثلاثة الكبار الذين لهم قدر كبير فى شفاعتهم، أعنى نوح ودانيال وأيوب (حز١٤: ١٤، ١٦) .

فإذا كان أيوب رجلاً كاملاً ومستقيماً ، فلماذا كل المتاعب التى أصابته؟ ماذا كانت مشكلته؟

لم تكن له مشكلة. إذن لماذا حدث ما حدث؟

✠ ✠ ✠

المشكلة أنه كان رجلاً باراً، ويعرف عن نفسه أنه بار!

كان يثق فى داخل نفسه أنه بار.. كان بره أمام عينيه فى كل ما

حدث له. وكان بره أمام عينيه فى كل ما دار بينه وبين أصحابه الثلاثة من حوار ساخن استمر ٢٨ إصحاحاً، واختتم بهذه العبارة "فكفّ هؤلاء الرجال الثلاثة عن مجاوبة أيوب، لكونه باراً فى عينى نفسه" (أى٣٢: ١) .

وكان هذا البر الذاتى أيضاً هو سبب العتاب الطويل الذى كان بينه وبين الله، مما سنشرحه بتفصيله ...

ولقد أراد الله أن ينقذه من هذا البر الذاتى . هذه واحدة.

✠ ✠ ✠

النقطة الثانية هى أن أيوب كان رجلاً عظيماً محترماً من الجميع ...

كانت تحيط به مظاهر الإحترام والتوقير والعظمة من كل ناحية. ويقول عنه الكتاب إنه كان "أعظم كل بنى المشرق" (أى١: ٣) .

وكان غنياً جداً : "كانت مواشيه سبعة آلاف من الغنم، وثلاثة آلاف جمل، وخمس مائة فدان بقر، وخمس مائة أتان. وكان خدمه كثيرين جداً" (أى١: ٣).

وكل هذا يعطينا فكرة أن الغنى لا يتنافى مع البر..

فمن الممكن أن يكون الإنسان غنياً، وفى نفس الوقت يكون كاملاً ومستقيماً، مثلما كان أيوب .

بالإضافة إلى كل هذا، كان أيوب سعيداً كربّ أسرة فقد "وُلد له سبعة بنين وثلاث بنات" (أى١: ٢) .

✠ ✠ ✠

وقد عاش أيوب فى عصر ما قبل أبينا ابراهيم، أبى الآباء والأنبياء، فى العصر الذى كان فيه ربّ الأسرة هو كاهن الأسرة، يقدم الذبائح عنها. وهكذا قيل عن أيوب - بالنسبة إلى أولاده - إنه "أرسل فقدّسهم، وبكّر فى الغد، وأصعد محرقات على عددهم كلهم، لأن أيوب قال : ربما أخطأ بنىّ، وجدفوا على الله فى قلوبهم! هكذا كان أيوب يفعل كل الأيام" (أى١: ٥).

وهنا نلمح نقطة أخرى قد تشير هى أيضاً إلى البر الذاتى!

✠ ✠ ✠

لماذا يا أيوب تقدم محرقات عن خطايا أولادك، ولا تقدم عن نفسك معهم؟!

تقول "ربما أخطأ بنىّ" .. وأنت ألم تفكر أنك ربما أخطأت فى شئ؟! أم تعرف عن نفسك أنك رجل كامل ومستقيم، تتقى الله وتحيد عن الشر!!

✠ ✠ ✠

نتابع كلامنا عن عظمة أيوب وغناه ، فنقول أيضاً :

لقد أعطاه الغنى فرصة للإحسان والكرم، فأصبح محاطاً

بمعجبين ومحبين وفقراء كثيرين ينالون الرحمة من يديه ...

كانت الحياة سهلة أمامه، هيّنة مبهجة. يعيش في الفردوس، دون أن يدخل مطلقاً إلى بستان جثسيماني .. وكأنه ينصب له خيمة على جبل التجلي!

كان يعيش إلى جوار شجرة الحياة، ولم يتعود على حمل الصليب بعد. كان من الذين دخلوا إلى ملكوت الله، والباب واسع والطريق رحب، بدون خطية. ولقد أراد له الله أن يجرّب الطريق الضيق، والصليب والجلجثة .. يجرب الأحزان والضيقات، ليأخذ بركة الضيقات .

لقد أخذ بركة الغنى، فليأخذ إذن بركة الفقر أيضاً ..

✠ ✠ ✠

عاش في بهجة الحياة زمناً، إلى أن حان موعد التجربة .

وجاء الوقت الذي يواجه فيه الصليب . ولكن كيف ذلك ؟

بدأت تجربته بحسد الشيطان له :

وكذلك حدث لأبينا آدم وأمنا حواء من قبل . حسدهما الشيطان وعمل على إسقاطهما. وهكذا نقول في القداس الإلهي "الموت الذي دخل إلى العالم بحسد ابليس..". ودائماً يريد الشيطان بنا شراً، ولكن الله برحمته يحوّل هذا الشرّ إلى خير. وهذا نفس ما حدث لأيوب .

✠ ✠ ✠

أراد الشيطان أن يضره . واستغل الله حسد الشيطان لكى يرفع أيوب إلى درجة أعلى وأسمى. فينجيه وينقيه .

الشيطان أراد أن يؤذى ايوب من جهة، لعل هذا الإيذاء من ناحية أخرى، تكون نتيجته أن يجدف أيوب على الله، ويصبح خاسراً للدنيا والآخرة. أما الله فقد سمح للشيطان أن يجرب أيوب لكى يتمجد أيوب أكثر فأكثر، ويصبح مثالاً يقتدى به (يع٥: ١١) وتمنحه التجربة شهرة كبيرة، وتقدمه درساً للأجيال، تكون نهايتها بركة مضاعفة له ...

✠ ✠ ✠

عجيب هو موقف الله من الشيطان فى سفر أيوب !

فيه الكثير من تواضع الله ، ومن مبدأ تكافؤ الفرص .

سمح الله للشيطان أن يمثل بين يديه، وأن يندس وسط أولاد الله (أى١: ٦) . بل أكثر من هذا، سمح له أن يكلمه وأن يجادله، وأن يشتكى أمامه ضد ابن عزيز عليه هو أيوب. بل سمح له أن يأخذ منه سلطاناً ضد هذا الرجل الكامل المستقيم، وأن يخرج ليخرّب ويقتل..!

✠ ✠ ✠

قال له الله "من أين جئت؟" فأجاب "من الجولان فى الأرض ومن التمشى فيها" (أى١: ٧). وكان الشيطان فى تلك الإجابة يذكر

نصف الحقيقة. فلم يذكر أنه خلال ذلك الجولان فى الأرض، كان يضلّ الناس ويسقطهم، ويخرب بيوتاً كثيرة.

فتعرض الله لعمل الشيطان، وأراد أن يظهر له ضعفه، فسأله "هل جعلت قلبك على عبدى أيوب؟ لأنه ليس مثله فى الأرض" فى كل الأرض التى تتمشى فيها ...

✠ ✠ ✠

جميل أن الله يفتخر بأولاده ويمتدحهم، ويتحدى الشيطان بهم.

إن كان الشيطان قد أسقط كثيرين، فإن أيوب ليس مثلهم لأنه ليس مثله فى الأرض. إنه نوعية أخرى، رجل كامل ومستقيم. فهل رأيت أيها الشيطان هذه التحفة الجميلة التى اسمها أيوب؟ هل جرّبت حيلك معه؟ هل قدرت عليه؟ هل صعدت إلى مستوى محاربته؟

✠ ✠ ✠

وقطعاً كان الشيطان قد مرّ عليه وفشل.. ولكنه لكى يخفى خجله من فشله، حاول أن يبرر ذلك بقوله "هل مجاناً يتقى أيوب الله؟" (أى١: ٩) .

"أليس أنك سيجت حوله وحول بيته من كل ناحية. باركت أعمال يديه، فانتشرت مواشيه فى الأرض. ولكن أبسط يدك الآن ومسّ كل ماله، فإنه فى وجهك يجدف عليك" (أى١: ١٠، ١١) .

وكان الشيطان يكذب فى هذا الإدعـاء. فقد كـان أبونـا آدم معـه أكثر مما كان مع أيوب، وسقط. إذن بركـة الغنـى ليسـت هـى التـى تحفظ من السقوط. كما أنها لم تحفظ سليمان بعد ذلـك بزمـن طويـل (جا٢) .

✠ ✠ ✠

كان الله واثقاً من أيوب وقوة احتمالـه، فسمح للشيطان أن يجربه .

وقال للشيطان "هوذا كل ماله في يدك. ولكن إليه لا تمد يدك" .. إنمـا سـماح بشـرط، لـه حـدود.. وخـرج الشـيطان ليعمـل فـى غـير رحمة. يضرب بعنف.. لا ضربة واحدة ولا اثنتين ولا ثلاثاً، وإنمـا بتخريب شامل!! ضربات حاسد حقود.

✠ ✠ ✠

وظلت الأخبار تتوالى على أيوب قاسية مريرة .

لم يمت له ابن واحد، بل كل الأبناء وكل البنات، مرة واحـدة!.. ريـح شـديدة (أثارهـا الشـيطان) .. وصدمـت زوايـا البيـت الأربـع، فسقط على الغلمان وماتوا (أى١: ١٩). وكل أملاك أيـوب ضـاعت أيضـاً.. البقـر والأتـن "سقط عليهـا السبئيون وأخذوهـا، وضربـوا الغلمان بحد السيف. والجمال أخذهـا الكلدانيـون، وضربـوا الغلمـان بحد السيف. والغنم والرعاة، نزلت نار مـن السماء وأحرقت الكـل

(أى١: ١٤- ١٩). واستطاع الشيطان - لما أخذ إذناً - أن يفعل كل ذلك ...

✠ ✠ ✠

ياللهول . حقاً إن الشيطان - وإن كان قد فقد نقاوته - إلا أنه لم يفقد طبيعته كواحد من الملائكة "المقتدرين قوة" (مز١٠٣: ٢٠).

ينزل ناراً من السماء، تحرق الغنم والغلمان. ويثير ريحاً شديدة عبر القفر تصدم البيت فيسقط، ويموت كل الذين فيه. ويسخر السبئيين والكلدانيين لتنفيذ مشيئته، فينهبون ما لغيرهم ويقتلون الغلمان. ويخرب كل بيت أيوب. ولو كان أيوب شخصاً عادياً لسقط ميتاً أمام كل هذا..

✠ ✠ ✠

أما أيوب فقد احتمل كل هذا ولم يجدف على الله، بل قال عبارته المشهورة : "الرب أعطى، الرب أخذ. ليكن اسم الرب مباركاً" (أى١: ٢١) .

ما أعمق هذه الروحانية، نتعلمها من أيوب الصديق :

كثيرون يقولون "ليكن اسم الرب مباركاً" عندما يعطيهم الله.. ولكن قليلون هم الذين يباركون اسم الرب، حينما يأخذ الله منهم ما سبق أن أعطاه..!

ولكن أيوب شكر الرب وبارك اسمه، بعد أن أخذ الله منه كل شئ..!

✠ ✠ ✠

ولم يقل السبئيون أخذوا، ولا الكلدانيون أخذوا، بل الرب أخذ!

إنه يتعامل مع الله وحده، لا مع السبئيين ولا مع الكلدانيين. وكل ما يفعله الناس ضده، لابد قد مرّ على الله ضابط الكل. فإن كان الله قد سمح بأن يأخذوا كل ماله، فليكن اسم الرب مباركاً. إننى لا أملك كل ما معى، إنما أنا مجرد وكيل على ما أعطانيه الله. هو أعطى، وهو أخذ. بحكمة يعطى، وبحكمة يأخذ. أما أنا فماذا أقول .

"عرياناً خرجت من بطن أمى، وعرياناً أعود إلى هناك"

✠ ✠ ✠

إن عبارته هذه، هى التى أوحت أبياتاً من الشعر قيل فيها :

قد دخلت الكون عرياناً فلا	قنيةً أملك فيه أو غِنى
وسأمضى عارياً عن كل ما	جمع العقل بجهل واقتنى
عجباً هل بعد هذا نشتهى	مسكناً فى الأرض أو مستوطنا

وهكذا كانت مشاعر أيوب الصديق. وكأنه يقول :

ما كنت أملك شيئاً من كل هذا حينما وُلدت. وسوف أترك كل شئ حينما أغادر هذا العالم عرياناً. الله أودعنى وديعة، ثم سمح أن يأخذ الله وديعته، ليكن اسم الرب مباركاً .

"في كل هذا لم يخطئ أيوب، ولم ينسب إلى الله جهالة" (أى١: ٢٢) ..

✠ ✠ ✠

ولكن من هول الكارثة يقول الكتاب عن أيوب إنه :

"مزق جبته ، وجزّ شعر رأسه، وخرّ على الأرض وسجد" (أى١: ٢٠) .

"مزّق جبته لهذه الكارثة التى تمزق قلب أى إنسان: على الأقل موت أبنائه السبعة وبناته الثلاث في يوم واحد. ولكنه سجد على الأرض إجلالاً للرب الذى أعطى وأخذ.. ولم يقل الكتاب إنه صرخ أو بكى، أو نعى أولاده..

✠ ✠ ✠

ولكن قسوة الشيطان لم تقف عند حدّ ولم يكتفِ بهذا !

ولم يخجل من فشله في محاربته لأيوب البار. وعاد يقف أمام الله فى غير حياء ويقول له : "جلد بجلد. وكل ما للإنسان يعطيه لأجل نفسه. ولكن أبسط الآن، ومسّ عظمه ولحمه. فإنه فى وجهك يجدف عليك" (أى٢: ٤، ٥) .

قال هذا ردّاً على قول الرب عن أيوب "..إلى الآن هو متمسك بكماله، وقد هيجتنى عليه لأبتلعه بلا سبب" .

إن الشيطان لا ييأس فى محاربته . فمهما فشل، يعاود الكرة

مرة أخرى .. والعجيب أن الله أعطاه فرصة أخرى رغم مكابرته. وقال له عن أيوب "ها هو فى يدك، ولكن احفظ نفسه" (أى٢: ٦). أى : لا مانع من أن تمس جسده. ولكن لا تمس عقله ولا حياته . نفسه ليست فى يدك .

وللمرة الثانية يضع الرب حدوداً للشيطان فى عمله .

✠ ✠ ✠

وخرج الشيطان من لدن الرب، وبكل قسوة "ضرب أيوب بقرح ردئ من باطن قدمه إلى هامته. فأخذ أيوب لنفسه شقفة ليحتك بها، وهو جالس فى وسط الرماد" (أى٢: ٧، ٨).. كانت التجربة قد بلغت قمتها، ولكنها لم تبلغ نهايتها.

وإذا بزوجته تسخر منه لأنه لا يزال محتفظاً بكماله، وطلبت إليه أن يجدف على الله ويموت. فأجابها بحكمة وصبر :

"تتكلمين كلاماً كإحدى الجاهلات. هل الخير نقبل من عند الله، والشر لا نقبل"؟! (أى٢: ١٠). وكلمة الشرّ هنا تعنى المتاعب والضيقات. وكلمة الخير تعنى الخيرات..

✠ ✠ ✠

يقول الكتاب "فى كل هذا لم يخطئ أيوب بشفتيه" (أى٢: ١٠) .

فهل أخطأ بغير شفتيه ؟ بلسانه أظهر كامل التسليم للمشيئة الإلهية. ولكن ماذا كان فى قلبه؟



"٣"

إنفعَالات داخل نفسيّة أيّوبْ

قدمت له زوجته اقتراحاً يمس علاقته بالله، فرفضه، ووبخها قائلاً "تتكلمين كلاماً كإحدى الجاهلات. هل الخير من الله نقبل، والشر لا نقبل؟!" (أى٢: ١٠) .

فى هذا الموقف كان أيوب أحكم من جده آدم، فى التعامل مع إمرأته .

آدم خضع لزوجته فى كسر وصية الله . وقال فى تبرير كسره للوصية، "المرأة التى جعلتها معى، هى أعطتنى من الشجرة فأكلت" (تك٣: ١٢). أما أيوب فرفض أن يستمع لإمرأته، بل وقف منها موقف المعلم والمؤدب، وقال لها "تتكلمين كلاماً كإحدى الجاهلات"، كإحدى "العذارى الجاهلات" اللائى وقفن خارج عرش الله (مت٢٥: ٢، ١١).

أيقول أحد: هل هذه خطية إدانة لأنه وصفها بإحدى الجاهلات؟

كلا. فهذه حقاً إدانة، ولكنها ليست خطية إدانة. لأنه من حقـه - بـل مـن واجبـه - أن يدينهـا، باعتبـاره "رأس المـرأة" (١كـو ١١: ٣) . ولأنها تجاوزت الحدّ بقولها" إلى الآن أنت متمسك بكمالك؟! (إلعـن الرب ومت" (أى٢: ٩) كإحدى الترجمات: Curse God and die .

✠ ✠ ✠

"فى كل هذا لم يخطئ أيوب بشفتيه" (أى٢: ١٠) .

بشفتيه قال كلاماً حكيماً، يدل على حياة التسليم، وقبـول كـل مـا يفعله الله معه. ولكن هـل فـى داخلـه كـان كذلـك؟ هـذا مـا سـنبحثه معاً..

قال "هل الخير من الله نقبل، والشـر لا نقبـل؟!". وكلمـة الخيـر كمـا تعنـى الفضيلـة، تعنـى هنـا الخـيرات الأرضيـة، أو نعـم اللـه وإحساناته إليه. كذلك كلمـة (الشـر) كمـا تعنـى الخطيـة، تعنـى هنـا المصـائب والضيقات التى حلّت به. لهـذا قيـل عـن أصحابـه الثلاثـة إنهم "لما سمعوا بكل (الشر) الذى أتـى عليـه، جـاءوا .. ليرثـوا لـه ويعزوه" (أى٢: ١١) .

✠ ✠ ✠

ولم رآه اصحابه هكذا، ظهر ما فى قلبه من مرارة وسخط ..

قيل إن اصحابه "قعدوا معه سبعة أيـام وسـبع ليـالٍ، ولـم يكلمـه أحد بكلمة، لأنهـم رأوا أن كآبتـه كـانت عظيمـة جـداً" (أى٢: ١٣).

وقد تبدو الكآبة شـيئاً طبيعياً فـى حالتـه بعـد التجربـة الشـديدة التـى مرت به. وقد قال القديس بولس الرسول عن متاعبـه هـو وزملائـه فى الخدمة "مكتئبين فى كل شئ، لكن غير متضايقين" (٢كو٤: ٨). ولكن أيوب كان متضايقاً جداً من الداخل...

كانت التجربة الثانية الخاصة بصحته، قد هزته من الداخل .

✠ ✠ ✠

وهناك فرق ملحوظ بين ردود فعله فى التجربتين :

قال فى التجربة الأولى "الرب أعطى، والرب أخـذ. فليكـن اسـم الرب مباركاً" (أى١: ٢١). ولكنه لم يقل هكذا بالنسبة إلـى صحتـه فى التجربة الثانية. يكفى أنه لم يجدف على الله، ولم يخطئ بشفتيه

✠ ✠ ✠

ولكنه لم يحتمل أن يراه أصحابه وهو "جالس فى وسط الرمـاد، يمسك شقفة ويحتك بها" (أى٢: ٨). حتى أنهم لما رأوه "لم يعرفـوه، فرفعوا أصواتهم وبكوا. ومزّق كل واحـد جبتـه، وذروا تراباً فـوق رؤوسهم نحو السماء" (أى٢: ١٢). وكان موقفاً مؤثراً لنفسيته ..

نعم، هناك من يحتمل المذلة، ولا يحتمل أن يراه الناس ذليلاً!

وهكذا أيوب لم يحتمل أن يكون موضع الإشـفاق، بعـد أن كـان موضع التمجيد .

✠ ✠ ✠

بدأ تعب أيوب ، حينما جاءه أصحابه الثلاثة، ورأوه فـي مذلتـه. لقد كان محطمـاً، ولا أحد مـن معارفـه يـدرى. فلمـا جـاء أصحابـه يعزونه، عزّ عليه أنه أنكشف أمامهم.. حتى أنهم مزقوا ثيابهم رثـاءً لحالته .

لاشك أن حالته الإجتماعية قد تغيرت إلـى العكس تمامـاً، مـن حيث موقف الناس منه، هذا الذى قال عنه فيما بعد "ليتنـى كمـا فـى الشهور السالفة، وكالأيام التى حفظنى الله فيها.. حين كنـت اخـرج إلى الباب فى القريـة، وأهيئ فـى السـاحة مجلسـى. رآنـى الغلمـان فاختبـأوا، والشيوخ قـاموا ووقفـوا. العظمـاء أمسكوا عـن الكـلام.. صـوت الشرفاء اختفى.." (أى٢٩: ٢- ١٠) .

أما الآن فهو جالس على الرماد، يحتك بشقفة ..!

✠ ✠ ✠

لهذا بعد السبعة أيام لجلوس أصحابه معه، يقول الكتاب :

"**بعد هذا فتح أيوب فاه، وسبّ يومه..**" (أى٣: ١) .

وقال "ليته هلك اليوم الذى وُلدت فيه، والليل الذى قال: قد حُبـل برجل. ليكن ذلك اليوم ظلاماً. لا يعتنى به الله من فوق، ولا يشرق عليه نهار.. لا يفرح بين أيام السنة، ولا يدخلن فى عداد الشهور.." (أى٣: ٣-٦) ..

أخذ أيوب يخرج ما فى نفسه من مرارة ...

فى بادئ الأمر كانت شفتاه مغلقتين على ما فى داخل قلبه من تعب نفسي. وقد سمح الله لأيوب بمجئ أصحابه إليه ليكشف ما فى داخله. وإذا بهذا القديس يلعن اليوم الذى وُلد فيه..!

لماذا تلعن يوم ولادتك يا أيوب البار؟! يقول "لأنه لم يغلق أبواب بطن أمى، ولم يستر الشقاوة عن عينيّ؟ لمَ لم أمت من الرحم؟! عندما خرجت من البطن، لمَ لمْ أسلم الروح.." (أى٣: ١٠، ١١) .

✠ ✠ ✠

أهذه هى حياة التسليم التى قال عنها لزوجته: هل الخير من الله نقبل، والشر لا نقبل؟!" (أى٢: ١٠) .

لقد كان صليباً ثقيلاً على أيوب. ولكن رحمة الله كانت تريد أن تخرج من هذا المر شيئاً حلواً .

إن الله لا ينظر إلى الحاضر الذى نحن فيه، بقدر ما ينظر إلى المستقبل الذى نصل إليه .

إنه ينظر إلى عذابات القديسين فى ضوء أكاليل سيأخذونها فيما بعد .

✠ ✠ ✠

نعم، لقد قبلَ أيوب التجربة، ولكن التجربة سببت له تعباً داخلياً.

فقد يقبل إنسان أن تجرى له عملية جراحية. ولكن هذا لا يمنع من أن تسبب له العملية آلاماً، فيصرخ ويقول آه .

كانت آلامه فوق الاحتمال، جسدياً ونفسياً. فمن ذا الذى يستطيع أن يحدث له كل ذلك: أن يموت كل أبنائه وبناته فى يوم واحد، وأن يخرب بيته، ويفقد صحته وكرامته، دون سبب يستدعى هذا كله؟!

هل يحدث كل هذا لشخص، ولا يتألم ولا يشكو؟ إنه قد يصبر، ولكن الألم شئ طبيعى، فهل لا يشكو فى كثرة آلامه؟! هل لا يئن؟!

إن الله "يعرف طبيعتنا، يذكر أننا تراب نحن" (مز١٠٣: ١٤).

لذلك لم يغضب الله من أيوب فى كل ما قال . بل إنه - تبارك إسمه - بعد إنتهاء التجربة، وبخ أصحاب أيوب الثلاثة قائلاً لهم "..لم تقولوا فىّ الصواب كعبدى أيوب" (أى٤٢: ٧) .

✠ ✠ ✠

هل كانت انفعالات أيوب مركزة فى لعنة يومه؟

كلا طبعاً . بل ظهرت له انفعالات أخرى كثيرة ...

منها حديثه مع أصحابه وتضايقه منهم، ووصفهم بأنهم "أطباء بطالون" و"معزون متعبون" كما سنشرح فيما بعد ...

كما ظهر ذلك فى عتابه الطويل مع الله ...

وأيضاً فى افتخاره ببره الذاتى ، رداً على ما قد اتهمه به

أصحابه من اتهامات باطلة ، أمكنهم بها أن يثيروه ويخرجوه عن هدوئه ...

لم يذكر الكتاب أخطاء لأيوب قبل التجربة .

أما بعدها ، فالأمر يحتاج إلى كثير من التأمل .

قبل التجربة قال عنه الرب إنه رجل كامل ومستقيم .

أما بعد التجربة ، فماذا قال عنه أليهو الصديق الرابع ؟ (أى ٣٢- ٣٧) .

وماذا قال عنه الله ؟ (أى٣٨- ٤١) .

هذا ما سوف نراه فى آخر هذا الكتاب بمشيئة الرب .

"٤"

أصحاب أيّوبَ

وَملخص لأخطائهم

أصحـاب أيـوب

أصحاب أيوب الذين أخطأوا كانوا ثلاثة : أليفاز التيمانى، وبلـدد الشوحى، وصوفـر النعمـانى. فمـن كـان هؤلاء؟ وإلـى أى عصـر ينتمون؟ وإلى أى بلد؟ وما موقع بلادهم ؟

١ - أليفاز التيمانى :

واضح من اسمه أنه ينتمى إلى تيمان .

ويذكر لنا سفر التكوين أن تيمان هو ابن اليفاز ، وأن اليفاز هـو ابن عيسو من زوجته عدا (تك٣٦: ١٠، ١١). (١أى١: ٣٥، ٣٦).

ويبدو أن قبيلة تسمت باسم تيمان، إذ يذكر نفـس الاصحـاح مـن سفر التكوين أن "اليفاز بكر عيسو أمير تيمان" (تك٣٦: ١٥) .

وواضح أنه على اسمه (علـى اسـم أليفـاز الجـد) تسمـى اليفـاز التيمانى الصاحب الأول لأيوب الصديق .

ومكان تيمان – كما يذكر قاموس الكتاب – هو شمالى آدوم (تك٣٦: ١٦) .

✠ ✠ ✠

٢ – بلدد الشوحى :

ربما ينتسب أيضاً إلى شوح ابن ابينا ابراهيم من زوجته قطورة (تك٢٥: ٢). ويبدو أن أبناء شوح كونوا قبيلة ينتمى إليها بلدد الشوحى. وكانت هذه القبيلة قرب أرض عوص (التى منها أيوب الصديق) .

✠ ✠ ✠

٣ – صوفر النعمانى :

يذكر سفر العدد أن بنيامين ابن ابينا يعقوب ، كان ابنه الأكبر (بالع) قد أنجب ابنين اسم أحدهما نعمان.. ولنعمان عشيرة النعمانيين (عد٢٦: ٣٨– ٤٠) .

وقد يكون صوفر النعمانى – أحد أصحاب أيوب – من عشيرة النعمانيين من نسل بنيامين بن يعقوب .

✠ ✠ ✠

والخلاصة :

يكون أصحاب أيوب الثلاثة من نسل أبينا ابراهيم .

ولكنهم بلاشك عاشوا قبل عصر موسى وهارون. وذلك لأنهم

ما كانوا ضمن الشعب الإسرائيلى الذى عاصر فرعون مصر. ولا سكنوا فى أى بلد فى أرض الموعد ...

✠ ✠ ✠

على أنه قد ظهر صديق رابع، ظل صامتاً طوال الحوار الذى دار بين أيوب وأصحابه الثلاثة. ولم يتكلم إلا فى اصحاح ٣٢ وما بعده. ولم يرد عليه أيوب. بل كان الله هو الذى تكلم بعده. إنه أليهو بن برخئيل البرزى من عشيرة رام. فمن هو هذا الصديق الرابع ؟

٤ – اليهو بن برخئيل البوزى :

معنى إسمه (أليهو) هو الله. ولقبه (البوزى) . فمن هو بوز؟

يذكر سفر التكوين أن ابانا ابراهيم كان له أخ اسمه ناحور (تك١١: ٢٧). وأن ناحور كان له ابنان من زوجته ملكة هما عوص بكره، وبوز أخوه (تك٢٢: ٢٠، ٢١) . ربما إلى بوز ينتمى أليهو.

من أرض عوص كان أيوب (أى١: ١). وذكر اسم (عوص) فى موضع آخر ، هو عوص ابن آرام بن سام بن نوح (تك١٠: ٢٢، ٢٣) .

وأرض (عوص) تقع بين دمشق وآدوم فى صحراء سوريا ...

ماذا كان الخطأ الذى وقع فيه أصحاب أيوب الثلاثة؟

أخطاء أصحاب أيوب

أولاً : ظنوا أنهم يتكلمون معه بصراحة، وكان أسلوبهم فى تلك (الصراحة) أسلوباً جارحاً مؤلماً. بدأوه بقول أليفاز التيمانى لأيوب 'إن امتحن أحد كلمة معك، فهل تستاء. ولكن من يستطيع الامتناع عن الكلام؟!" (أى٤: ٢). أى هل سوف تستاء من صراحتى معك؟! ومع ذلك فأنا لا أستطيع أن أصمت ولا أتكلم معك (بصراحة)!!

✠ ✠ ✠

ثانياً : اعتقدوا فى صراحتهم أن أيوب قد أخطأ إلى الله، ولذلك عاقبه الله بهذه التجربة!! وكان ذلك اتهاماً ظالماً .

وهكذا قالوا له "أذكر من هلك وهو برئ؟! وأين أبيد المستقيمون كما رأيت أن الحارثين إثما، والزارعين شقاوة، يحصدونها" (أى٤: ٧، ٨) .

والمعروف طبعاً أن أيوب لم يخطئ إلى الله، ولم يزرع إثماً ولا شقاوة! بل قال الله عنه إنه ليس مثله فى الأرض. رجل كامل ومستقيم. يتقى الله، ويحيد عن الشر" (أى١: ٨). وكرر الله هذه الشهادة عنه (أى٢: ٣) .

✠ ✠ ✠

إذن تجربة أيوب لم تكن عقوبة لأيوب علىخطية. بل أن الله قال عنه للشيطان بعد التجربة الأولى "..وإلى الآن هو متمسك بكماله. وقد هيجتنى عليه، لأبتلعه بلا سبب" (أى٢: ٣) .

مثال من الإتهامات الكاذبة

حقاً ، ما أكثر الإتهامات الظالمة للأبرار والصديقين فى كل متاعبهم ومشاكلهم وأمراضهم، كما لو كانت عقوبة من الله!! بينما الكتاب يقول: "كثيرة هى بلايا الصديق، ومن جميعها ينجيه الرب. الرب يحفظ جميع عظامه، وواحدة منها لا تتكسر" (مز٣٤: ١٩، ٢٠). ونلاحظ أن هذا المزمور كان أيضاً نبوءة عن السيد المسيح فى كل ما أصابه من آلام وضيقات ..

✠ ✠ ✠

ومن أمثلة الاتهامات الكاذبة التى اتهموا بها أيوب :

قول أليفاز التيمانى له : "لأنك ارتهنت أخاك بلا سبب، وسلبت

ثياب العراه . ماء لم تسقِ للعطشان، وعن الجائع منعت خبزا" (أى٢٢: ٦، ٧). وطبعاً كل هذا افتراء عليه، لأنه كان كريماً شفوقاً على المساكين (أى٢٩: ١٦- ١٩) .

وقال عنه صوفر النعمانى "لأنه رخص المساكين وتركهم، واغتصب بيتاً ولم يبنه" "لأنه لم يعرف فى بطنه قناعة" (أى٢٠: ١٩، ٢٠).

✠ ✠ ✠

ثالثاً : أشعروه أيضاً بأنه يجب أن يقبل تأديب الله، وليس له مجال فى استجابة لصلاته أو تشفع بالقديسين .

وهكذا قال له أليفاز التيمانى فى قسوة "أدعُ الآن، فهل من مجيب؟! وإلى أى القديسين تلتفت؟!" "هوذا طوبى لرجل يؤدبه الله، فلا ترفض تأديب القدير" (أى٥: ١، ١٧) .

كذلك فإن بلدد الشوحى - بدلاً من أن يعزيه فى موت أبنائه - قال له "هل الله يعوّج القضاء، أو القدير يعكس الحق؟! إذ أخطأ إليه بنوك، دفعهم إلى يد معصينهم" (أى٨: ٣، ٤). فكأنما موت كل الأولاد السبعة والبنات الثلاثة، كان بسبب خطايا كل منهم، وبعدل واستحقاق ..!

✠ ✠ ✠

رابعاً : أيضاً بلدد الشوحى أراد أن يثبت استحقاق أيوب

للعقوبة، من واقع التاريخ ومن أقوال الآباء :

فقال له "نحن نعلم .. فهلا يعلمونك ويقولون لك" . يقولون : "هكذا سبل كل الناسين الله، ورجاء الفاجر يخيب.. يستند إلى بيته، فلا يثبت" "هوذا الله لا يرفض الكامل، ولا يأخذ بيد فاعلى الشر" (أى٨: ٨- ٢٠).

وكأنه ألصق بأيوب كل هذه الصفات الشريرة، مثل : الفاجر، والناسين الله، وفاعلى الشر!! أى تأثير لكل هذا على رجل كامل مستقيم!

✠ ✠ ✠

خامساً : نرى صوفر النعمانى يطلب إليه التوبة ليرحمه الله!

فيقول له "ليت الله يتكلم ويفتح شفتيه معك.. فتعلم أن الله يغرمك بأقل من إثمك" (أى١١: ٥، ٦). ثم يتابع كلامه معه فيقول "إن أبعدت الإثم الذى فى يدك، ولا يسكن الظلم الذى فى خيمتك، حينئذ ترفع وجهك بلا عيب، وتكون ثابتاً ولا تخاف.." (أى١١: ١٤، ١٥) .

✠ ✠ ✠

سادساً : ما كان مناسباً أن يكلموه بهذا الأسلوب الجارح، وهو مجرب يقاسى كل الألم المحيط به ..

ولهذا قال لهم أيوب "قد سمعت كثيراً مثل هذا. معزون متعبون

كلكم.. أنا أستطيع أن أتكلم مثلكم، لو كانت أنفسكم مكان نفسى" (أى١٦: ١١، ٤). بل قال لهم "ليتكم تصمتون صمتاً، فيكون صمتكم لكم حكمة" (أى١٣: ٥). بل ترجاهم قائلاً "حتى متى تعذبون نفسى، وتسحقوننى بالكلام. هذه عشر مرات أخزيتمونى. لم تخجلوا من أن تحكروننى.. وهبنى ضللت، علىّ تستقر ضلالتى" (أى١٩: ٢- ٤). بل قال لهم أكثر من هذا :

"تراءفوا. تراءفوا أنتم علىّ يا أصحابى، لأن يد القدير قد مستنى" (أى١٩: ٢١) .

✠ ✠ ✠

سابعاً : كانت بعض أقوالهم فيها روح الشماتة :

وهذا لا يتفق مطلقاً مع كونهم أصحابه، ولا يتفق مع شعورهم الأول حين "رفعوا أصواتهم وبكوا. ومزّق كل واحد جبته، وذروا تراباً فوق رؤوسهم" (أى٣: ١٢) .

ولكنهم عندما دخلوا معه فى حوار ، نرى أسلوبهم قد تغيّر. فيقول له صوفر النعمانى "..إن الله يغرمك بأقل من إثمك" (أى١١: ٦) .

ويقول عنه أليفاز التيمانى "لا يأمل الرجوع من الظلمة، وهو مرتقب للسيف" "يسكن مدناً خربة، بيوتاً غير مسكونة عتيدة أن

تصير رجماً" "قبل يومه يتوفى، وسعفه لا يخضر" (أى١٥: ٢٢، ٢٨، ٣٢) .

✠ ✠ ✠

ثمانية عشر أصحاحاً كانت مجادلات أصحاب أيوب معه، واتهامهم له، وردوده عليهم. أثاروه كثيراً.

فماذا كانت ردود فعل الإثارة ؟!

"٥"

قســـوة

أصحاب أيوب عليه واتهاماتهم الظالمة

أيوب يرد عليهم، ويشكو مرارة نفسه وسوء حالته

أصحاب أيوب مصممون على أن تجربته هى عقوبة من الله له على خطاياه. فأكثروا من إتهامه باطلاً. واستطاعوا أن يثيروا أيوب، فأخذ يدافع عن نفسه.. وعبارة أن الله يعاقبه على إثمه، جعلته يعاتب الله، ويسأله ما هى خطيتى؟!، بل جعلته أيضاً يُبرر نفسه ويتحدث عن فضائله!! وبرز هنا عمل الله فى أن يقوده إلى انسحاق القلب .

ولما وصل أيوب إلى هذا الإنسحاق، انتهت تجربته، وردّ الله سبيه..

هذا هو ملخص تجربة أيوب كلها. فلندخل فى التفاصيل .

✠ ✠ ✠

مسألة حسد الشياطين لأيوب على كماله واستقامته، هذه لم تكن فى تفكير أصحاب أيوب. كذلك شهادة الله لم تكن فى معرفة أصحاب أيوب.

وعلى الرغم من أنهم فى بدء تجربة أيوب، حزنوا عليه "ورفعوا أصواتهم وبكوا. ومزق كل واحد جبته، وذرّوا تراباً فوق رؤوسهم.." (أى٢: ١٢) ... إلا أنهم عادوا وتفكروا فى الأمر، وتأملوا فى التجربة ..

ورأوا أنه لابد قد أخطأ أيوب إلى الرب، فواجبهم كأصدقاء أن يصارحوه بذلك، ويقودوه إلى التوبة، حتى يغفر الرب له!!

لكن كلامهم كان مثيراً إلى أبعد الحدود، لم يحتمله أيوب .

✠ ✠ ✠

قالوا "من هو الإنسان حتى يزكو، أو مولود المرأة حتى يتبرر؟!" (أى١٥: ١٤).. إن الله يعرف كل شئ "هوذا الله فى علو السموات.. هل من وراء الضباب يقضى؟!" (أى٢٢: ١٢، ١٣) "هوذا قديسوه لا يأتمنهم، والسموات غير طاهرة بعينيه. فبالحرى مكروه وفاسد الإنسان الشارب الإثم كالماء. الشرير يتلوى كل أيامه" (أى١٥: ١٥- ٢٠) .

هذا يقوله اليفاز التيمانى. ثم يقول لأيوب "إن رجعت إلى القدير تُبنى. إن أبعدت ظلماً عن خيمتك.." (أى٢٢: ٢٣) .

وينصحه قائلاً "اقبل الشريعة من فيه، وضع كلامه فى قلبك" (أى٢٢: ٢٢) .

✠ ✠ ✠

ويعزف بلدد الشوحي على نفس الوتر فيقول لأيوب "نعم، نور الأشرار ينطفئ، ولا يضيء لهيب ناره. النور يظلم في خيمته، وسراجه ينطفئ" (أى١٨: ٥، ٦). ويتابع كلامه فيقول عنه كإنسان شرير "ذكره يبيد من الأرض، ولا إسم له على وجه البر.. لا نسل له، ولا عقب له بين شعبه. إنما تلك مساكن فاعلى الإثم. وهذا مقام من لا يعرف الله" (أى١٨: ١٧- ٢١) .

فهل كلام كهذا ينطبق على أيوب؟! هل هو من فاعلى الإثم، أو هو إنسان لا يعرف الله؟! وهل يستحق أن يبيد ذكره وإسمه ونسله؟!.. بل أكثر من هذا - حيثما يتحدث أيوب عن مرارة نفسه فى تجربته- يقول له بلدد الشوحى "أيها المفترس نفسه فى غيظه، هل لأجلك تُخلى الأرض، أو يتزحزح الصخر من مكانه؟!" (أى١٨: ٤) .

✠ ✠ ✠

وبنفس القسوة وأسلوب التحطيم، يكلمه صوفر النعمانى موبخاً بكلام يشبه الشماتة به فى مذلته ..

فيقول له "أما علمت هذا من القديم، منذ وُضع الإنسان على الأرض: أن هتاف الأشرار من قريب، وفرح الفاجر إلى لحظة؟ ولو بلغ السماوات طوله، ومس رأسه السحاب!.. عين أبصرته، لا

تعود تراه، ومكانه لن يراه بعد.. فخبزه فى امعائه يتحول. مرارة أصلال فى بطنه. قد بلع ثروة فيتقيأها. الله يطردها من بطنه. سمّ الأصلال يرضع. يقتله لسان الأفعى" (أى٢٠: ٤- ١٦) .

ويتابع كلامه الجارح فيقول "تأكله نار لم تنفخ. ترعى البقية فى خيمته. السموات تلعن إثمه، والأرض تنهض عليه. تزول غلة بيته.. هذا نصيب الإنسان الشر... من عند الله" (أى٢٠: ٢٧- ٢٩)

✠ ✠ ✠

ويسألهم أيوب الصديق أى شر فعل؟!

فيقول لهم "إن كنتم بالحق تستكبرون علىّ، فثبتوا علىّ عارى" (أى١٩: ٥). ويقول لهم أيضاً "احتملونى وأنا أتكلم، ثم بعد ذلك استهزأوا" (أى٢١: ٣) "كيف تعزوننى باطلاً، وأجوبتكم بقيت خيانة؟!" (أى٢١: ٣٤).

ويرفع وجهه إلى السموات ويقول "هوذا فى السموات شهيدى، وشاهدى فى الأعالى. المستهزئون بى هم أصحابى" (أى١٦: ١٩، ٢٠) "فغروا علىّ أفواههم. لطمونى على كفى تعييراً. تعانوا علىّ جميعاً" (أى١٦: ١٠) .

ويقول لهم علّمونى فأنا أسكت. وفهمونى فى أى شئ ضللت؟ .. وأما التوبيخ منكم، فعلى أى شئ يبرهن؟" (أى٦: ٢٤، ٢٥) .

✠ ✠ ✠

ويعاتبهم أيوب مرة فى رقة ، ومرة فى عنف ، ويناقشهم .

ويقول لهم ".. رأيتم ضربة ففزعتم. هل قلت أعطونى شيئاً من مالكم، إرشوا من أجلى؟ أو نجونى من يد الخصم، أو من يد العتاة إفدونى؟" (أى٦: ٢١- ٢٣) "تحفرون حفرة لصاحبكم؟!.. أرجعوا، لا يكونن ظلم" (أى٦: ٢٧، ٢٩). "أنا استطيع أن أتكلم مثلكم، لو كانت أنفسكم مكان نفسي. بل كنت أشددكم بفمى، وتعزية شفتى تمسككم" (أى١٦: ٤، ٥).

✠ ✠ ✠

ولما ازدادوا فى كلامهم واتهاماتهم له، كلمهم فى شدة وقال : "صحيح أنكم أنتم شعب، ومعكم تموت الحكمة. غير أنه لى فهم مثلكم. لست أنا دونكم" (أى١٢: ٢، ٣) "ما تعرفونه، عرفته أنا أيضاً. لست دونكم. لكنى أريد أن أكلم القدير، وأن أحاكم إلى الله. أما أنتم فملفقوا كذب. أطباء بطالون كلكم" (أى١٣: ٢- ٤) .

✠ ✠ ✠

ولما سمعهم يهاجمونه باسم الدفاع عن الله وعظمته وعدله، قال لهم إن هذه (محاباة لله) لا يقبلها .

وهكذا قال "اسمعوا الآن حجتى، واصغوا إلى دعاوى شفتى: أتقولون لأجل الله ظلماً، وتتكلمون بغش لأجله؟! أتحابون وجهه، أم عن الله تخاصمون.. أم تخاتلون كما يختال الإنسان؟! توبيخاً

يوبخكم إن حابيتم الوجوه خفية. فهلا يرهبكم جلاله، ويسقط عليكم رعبه" (أى١٣: ٦- ١١).

ثم يقول لهم "خطبكم أمثال رماد، وحصونكم حصون من طين. اسكتوا عنى فأتكلم، وليصبنى مهما أصاب" (أى١٣: ١٢، ١٣) .

✠ ✠ ✠

ويرد عليه أليفاز التيمانى فى كبرياء وشماتة :

فيقول لأيوب "إن فمك يستذنبك لا أنا، وشفتيك تشهدان عليك. ماذا تعرفه، ولا نعرفه نحن؟ وماذا تفهم وليس هو عندنا؟" "عندنا الشيخ والأشيب، أكبر أياماً من أبيك" (أى١٥: ٦- ١٠) .

✠ ✠ ✠

أصحاب أيوب لم يفهموا الدالة التى يعاتب بها الله !

فقال له اليفاز التيمانى "لماذا يأخذك قلبك؟ ولماذا تختلج عيناك، حتى ترد على الله، وتخرج من فيك أقوالاً؟!" (أى١٥: ١٢، ١٣) .

ويتابع كلامه ضده فيقول "الشرير يتلوى كل أيامه .. لأنه مدَّ على الله يده، وعلى القدير تجبر .. فيسكن مدناً خربة" (أى١٥: ٢٠- ٢٨) . "لا يستغنى ولا تثبت ثروته، ولا يمتد فى الأرض مقتناه.. لأن السوء يكون أجرته. قبل يومه يتوفى، وسعفه لا يخضرّ.. ينثر كالزيتون زهره. لأن جماعة الفجار عاقر، والنار تأكل خيام الرشوة. حبل شقاوة، وولد إثماً" (أى١٥: ٢٩- ٣٥) .

أيوب يشكو سوء حاله

قال "ضربتى أثقل من تنهدى" (أى٢٢: ٢) "**مصيبتى أثقل من** رمل البحر" (أى٦: ٢، ٣) . ولعل أبلغ ما قاله عن مرضه :

"**أنا كمتسوس يبلى، كثوب أكله العث**" (أى١٣: ٢٨) .

"عظمى قد لصق بجلدى ولحمى" (أى١٩: ٢٠) "الآن أنهالت نفسى علىّ، وأخذتنى أيام المذلة. الليل ينخر عظامى فىّ" (أى٣٠: ١٦، ١٧) "إذا اضطجعت، أقول متى أقوم؟ الليل يطول، وأشبع قلقاً حتى الصبح.. لبس لحمى الدود" (أى٧: ٤، ٥) "روحى تلفت، أيامى انطفأت. إنما القبور لى.. كلّت عينى من الحزن، وأعضائى كلها كالظل" (أى١٧: ١، ٧) "إحمرّ وجهى من البكاء، وعلى هدبى ظل الموت" (أى١٦: ١٦) "أهوال الله مصطفة ضدى" (أى٦: ٤).

✠ ✠ ✠

"**ما هى قوتى حتى أنتظر؟! وما هى نهايتى حتى أصبرّ نفسى؟!**"

هل قوتى قوة الحجارة؟! هل لحمى نحاس؟!" (أى٦: ١١، ١٢)

ويبدو أنه فقد الأمل فى الشفاء، وانتظر الموت ...

وهكذا قال "إذا مضت سنون قليلة، أسلك فى طريق لا أعود منها" (أى١٦: ٢٢) "رجوت الهاوية بيتاً لى، وفى الظلام مهدت

فراشي. وقلت للقبر أنت أبي، وللدود أنت أمي وأختي" (أي١٧: ١٣، ١٤) "فأين إذن آمالي؟ آمالي من يعاينها؟! تهبط إلى مغاليق الهاوية، إذ ترتاح معاً في التراب" (أي١٧: ١٥، ١٦). "أذكر أن حياتي إنما هي ريح. وعيني لا تعود ترى خيراً" (أي٧: ٧) "السحاب يضمحل ويزول. هكذا الذي ينزل إلى الهاوية، لا يصعد. لا يرجع بعد إلى بيته، ولا يعرفه مكانه بعد" (أي٧: ٩، ١٠) "الحجارة تبليها المياه، وتجرف سيولها تراب الأرض . وكذلك أنت (يا الله) تبيد رجاء الإنسان" (أي١٤: ١٩) .

✠ ✠ ✠

وهكذا وجد أيوب من حقه أن يشكو، فقال :

"أنا أيضاً لا أمنع فمي. أتكلم بضيق روحي. أشكو بمرارة نفسي" (أي٧: ١١) "قد كرهت نفسي حياتي. أسيّب شكواي. أتكلم في مرارة نفسي.." (أي١٠: ١).

"الإنسان مولود المرأة قليل الأيام وشبعان تعباً. يخرج كالزهر، ثم ينحسم ويبرح كالظل ولا يقف" (أي١٤: ١، ٢) .

✠ ✠ ✠

"أيامي أسرع من عدّاء. تفر ولا ترى خيراً" (أي٩: ٢٥) .

أيوب يعتبر نفسه يتعامل مع الله في مرضه .

لم يقل إنها ضربة من الشيطان، إنما قال عن الرب "قد طرحني

فى الوحل، فأشبهت التراب والرماد" (أى٣٠: ١٩) .

ولذلك صلى إلى الرب وقال فى عتاب "الليل أصرخ فما تستجيب لى. أقوم فما تنتبه إلىّ. تحولت إلى جافٍ من نحوى. بقدرة يدك تضطهدنى" (أى٣٠: ٢٠، ٢١).

✠ ✠ ✠

كذلك شكا من مشاكله الإجتماعية وبعد الناس عنه .

فقال "قد أبعد عنى أخوتى، ومعارفى زاغوا منى" .

"أقاربى قد خذلونى، والذين عرفونى نسونى" .

"نزلاء بيتى وإمائى يحسبوننى أجنبياً "

"عبدى دعوت فلم يجب . بفمى تضرعت إليه" .

"نكهتى مكروهة عند امرأتى. وخممت عند أبناء أحشائى"

"الأولاد أيضاً قد رذلونى، إذا قمت يتكلمون علىّ" .

"كرهنى كل رجالى. والذين أحببتهم أنقلبوا علىّ"

(أى١٩: ١٣- ١٩) .

لكل هذا ، دخل أيوب فى عتاب مع الله .

ماذا قال فى عتابه هذا؟

"٦"

أربـع جولات للشيطان ضد أيّوب

أيّوب يعاتب اللّه عتاباً طويلاً شديدًا

كان الشيطان يبذل كل جهده لتحطيم أيوب من كل ناحية :

فـى التجربـة الأولـى ، أمكـن أن يحطمـه ماديـاً وعائليـاً. وفـى التجربة الثانية، أمكن أن يحطمه صحياً. وكان كل ذلك بسماح من الله (أى١، ٢) . ولكن الشيطان كانت تتعبه جداً عبارة قالهـا الـرب عن أيوب وهى "إلى الآن هو متمسك بكمالـه" (أى٢: ٣) . فكيـف يمكن إذن زحزحته عن هذا الكمال؟

✠ ✠ ✠

كانت الجولة الثالثة للشيطان ، هى أن يحطم أيوب إيمانياً .

واستخدم فى ذلك امرأة أيوب، لتثنيه عن إيمانــه، وهـى متعجبـة كيف هو "متمسك بعد بكماله" (أى٢: ٩). وقطعاً كان الشيطان يتكلم من فمها.. غير أن أيوب البار صدّهـا وصدّه فـى حـزم، قـائلاً لهـا "تتكلمين كلاماً كإحدى الجاهلات.." (أى٢: ١٠) .

وبدا أن الشيطان قد انهزم فى الجولات الثلاث كلهـا. ولكنـه – كعادته – لم ييأس، واستمر فى محاربة أيوب ..

✠ ✠ ✠

وكانت الجولة التالية للشيطان أن يحطم أيوب نفسياً وروحياً. وأن يستخدم فى ذلك أصحاب أيوب من ناحية، وقسوة المرض وطول مدته من ناحية أخرى ...

وقد شملت هذه الجولة باقى سفر أيوب كله .

✠ ✠ ✠

فما هى الفكرة الخطيرة التى وضعها الشيطان فى أذهان أصحاب أيوب وزوّدها ببراهين، ونطق بها على ألسنتهم؟.. الفكرة التى أثار بها الجو كله، وكانت موضع حوار بين أيوب وأصحابه استمر ٢٨ أصحاحاً، وخرج بها أيوب عن هدوئه ؟

تلك الفكرة الشيطانية ، هى أن التجربة سببها الخطية .

✠ ✠ ✠

وبالتالى لابد أن يكون أيوب خاطئاً. ولولا ذلك ما كان الله قد سمح بأن يجرده من أولاده، ومن ماله وممتلكاته كلها، ومن صحته أيضاً! وكان ذلك يبدو كلاماً منطقياً يتفق مع عدل الله..! وهكذا كانت كلمة الشيطان على فم أليفاز التيمانى، أول المتكلمين من أصحاب أيوب :"أذكر من هلك وهو برئ؟! وأين أبيد المستقيمون؟" (أى٤: ٧) .

وبالتالى يكون أيوب فى كل شقائه، إنما يحصد نتيجة طبيعية لما زرعه من إثم. وهكذا أكمل أليفاز حديثه قائلاً "كما قد رأيت: أن

الحارثين إثما، والزارعين شقاوة، يحصدونها" (أى٤: ٨) .

✠ ✠ ✠

وكان اتهام أيوب بأنه خاطئ يستحق تأديب الله، أمراً يسعد الشيطان .

يسعده كلون من الشماتة فى أيوب، ولو بطريق الإدعاء! ويسعده أن ذلك ردّ على وصف أيوب بأنه "رجل كامل ومستقيم، يتقى الله ويحيد عن الشر" (أى١: ٨)، وأنه "إلى الآن هو متمسك بكماله" (أى٢: ٣) . كما أن هذا الإتهام سوف يثير أيوب ويتعبه. وهذا أيضاً يسعد الشيطان، وبخاصة لو كثرت الإتهامات ومسّت برّ أيوب وسمعته التى يحرص عليها ...

وقد كان . بدأ أصحاب أيوب يكيلون له الإتهامات فى قسوة .

✠ ✠ ✠

وأحدثت الإتهامات تأثيرها ، وبدأ أيوب يثور ويرد ..

مشكلته أنه قبلّ الإثارة. تأثر بها، وأخذ يدافع عن نفسه. وكان خيراً له لو أنه صمت، وترك الله يدافع عنه.. نعم، ليته صمت فما أعمق قول سليمان الحكيم "لا تجاوب الجاهل حسب حماقته، لئلا تعدله أنت" (أم٢٦: ٤) .

فى بادئ الأمر ، ردّ على أصحابه فى هدوء. ولما زادت إتهاماتهم له بأنه خاطئ، ويحتاج إلى توبة، وسردوا عليه ألواناً من

الإتهامات، حينئذ ثار عليهم وقال لهم "أما أنتم فملفقو كذب، أطباء بطالون كلكم. ليتكم تصمتون صمتاً، يكون ذلك لكم حكمة" (أى١٣: ٤، ٥). إلى أن قال لهم "معزون متعبون كلكم. هل من نهاية لكلام فارغ" (أى١٦: ٢، ٣) .

✠ ✠ ✠

وكان الشيطان فرحاً جداً بهذا الصراع بين أيوب وأصحابه، يغذيه أحياناً. وكان سعيداً بإثارة أيوب .

ولكن القصة لم تتم فصولاً . هناك ما هو أخطر .

لم يكن سبب الإثارة فقط، أنه خاطئ. بل بالأكثر إن الله ضده، يعاقبه، "ويغرمه بأقل من إثمه" (أى١١: ٦) .

ويبدو أن أيوب – للعجب الشديد – دخلت الفكرة إلى ذهنه أن الله يقف ضده، وأنه سبب كل متاعبه!! فدخل فى عتاب شديد وطويل مع الله..!

✠ ✠ ✠

إنها مشكلة جديدة وقع فيها أيوب : أن الله قد جعله خصماً له، وأن الله يستذنبه، لكى يتبرر فيما أوقعه فيه من متاعب!! والظاهر أن تكرار ما سمعه من أفواه أصحابه، جعل هذا الفكر يزحف إلى ذهن أيوب وإلى قلبه ومشاعره، ويعاتب الله عليه ...

كيف حدث ذلك ؟ هذا ما سنشرحه الآن بالتفصيل ..

ربما بسبب إيمانه أن كل شئ من الله ...

سواء كان بإرادة الله ، أو بسماح منـه.. لذلـك قـال قبـلاً "هـل.. الشر من الله لا نقبل؟!" (أى٢: ١٠). إذن هو يؤمن أن كل الشرور (أى المتاعب) التى أصابته هى من اللـه "وفـى كـل هـذا لـم يخطـئ أيوب بشفتيه" (أى٢: ١٠) .

وهكذا فإنه فـى التجربـة الأولـى، لمـا أخـذت منـه أملاكـه كلهـا وأولاده، قال "..الرب أخذ" (أى١: ٢١) .

✠ ✠ ✠

فماذا كان موقفه من الرب الذى أخذ، والشر الذى أصابه؟

يبدو أنه لم يقبل ذلك الشر كما قال ، بل عاتب الرب عليه .

أكبر دليل، وأول دليل، أنه بعد الكآبة الشديدة التـى حلـت عليـه، أخذ يسبّ يومه، ويقول "ليته هلك اليـوم الـذى وُلـدت فيـه.." (أى٣: ٣). ولماذا؟ "لأنه لم يغلق أبواب بطن أمى، ولم يستر الشـقاوة عـن عينىّ" (أى٣: ١٠). "لأنى إرتعابـاً ارتعبـت فأتـانى، والـذى فزعـت منه جاء علىّ" "لم أطمئن، ولم أسكن، ولم استرح، وقد جاء الرجـز" (أى٣: ٢٥، ٢٦) .

إذن هو لم يقبل ذلك الشر ، بل اكتأب كآبة عظيمـة جداً (أى٢: ١٣) . وارتعـب، وفـزع، ولـم يطمئـن ولـم يسـترح!! إنـه كمـا قـال الكتـاب "لـم يخطـئ بشفتيه" (أى٢: ١٠) . شـفتاه لـم يصـدر منهمـا

خطأ. أما قلبه فلم يسترح!

✠ ✠ ✠

وفى عتابه مع الله، نسب إليه كل متاعبه ..

"يرضى الله أن يسحقنى. يطلق يده فيقطعنى" (أى٦: ٩) .

"ذاك الذى يسحقنى بالعاصفة، ويكثر جروحى بلا سبب" (أى٩: ١٧) .

"لا يدعنى آخذ نفسى، ولكن يشبعنى مرائر" (أى٩: ١٨) .

"وقال للرب "كتبت علىّ أموراً مرة، وورثتنى آثام صباى" (أى١٣: ٢٦) .

"جعلت رجلىّ فى المقطرة، ولاحظت جميع مسالكى .. وأنا كمتسوس يبلى، كثوب أكله العث" (أى١٣: ٢٧، ٢٨) .

✠ ✠ ✠

وكان يشعر بشدة ما فعله الله به ، ويشكو ..

ويقول "أزال عنى كرامتى ، ونزع تاج رأسى" (أى١٩: ٩) .

"كنت مستريحاً فزعزعنى، ونصبنى له غرضاً. شق كليتى ولم يشفق. سفك مرارتى على الأرض" (أى١٦: ١٢، ١٣) .

"أوقفنى مثلاً للشعوب. وصرت للبصق فى الوجه" (أى١٧: ٦).

"هوذا يقتلنى. لا أنتظر شيئاً. فقط أزكى طريقى قدامه" (أى١٣: ١٥) . "فى عذاب لا يشفق. أنى لم أجحد القدوس" (أى٦: ١٠) .

هو أيضاً يطلب من الله أن يكفّ عنه ، يريحه قبل موته .

فيقول له "قد ذبت .. كفّ عنى، لأن أيامى نفخة" (أى٧: ١٦) .

"حتى متى لا تلتفت عنى، ولا ترخينى ريثما أبلع ريقى؟!" (أى٧: ١٩) .

"ابعد يديك عني، ولا تدع هيبتك ترعبنى" (أى١٣: ٢١) .

"إن كان (الإنسان) أيامه محدودة ، وعدد أشهره عندك، وقد عينت أجله فلا يتجاوزه، فاقصر عنه، إلى أن يسرّ كالأجير بانتهاء يومه" (عب١٤: ٥، ٦) .

"ليرفع عنى عصاه، فلا يبغتنى رعبه" (أى ٩: ٣٤) .

ويقول لله أيضاً "أليست أيامى قليلة؟ اتركنى. كفّ عنى فأتبلج قليلاً، قبل أن أذهب فلا أعود" (أى١٠: ٢٠) .

✠ ✠ ✠

ويعلن أيوب أن الله يعاديه ، ويخاصمه :

فيقول له "لماذا تحجب وجهك عنى، وتحسبنى عدواً لك؟!" (أى١٣: ٢٤) .

ويقول "أضرم علىّ غضبه، وحسبنى كأعدائه" (أى١٩: ١١) .

ويقول أيضاً "فاعلموا إذن أن الله قد عوّجنى، ولفّ علىّ أحبولته. ها أنى أصرخ ظلماً فلا استجاب. أدعو وليس حكم. قد حوّط طريقى، فلا أعبر. وعلى سبلى ألقى ظلاماً" (أى١٩: ٦- ٨)

ويقول له "لا تستذنبني . فهمني لماذا تخاصمني؟" (أى١٠: ٢) .
ويقول "غضبه افترسني. واضطهدني" (أى١٦: ٩) .

✠ ✠ ✠

ويقول لله : تستذنبني، وأنت تعلم أني برئ" !!

"في علمك أني لست مذنباً، ولا منقذ من يدك!!" (أى١٠: ٧) .

"كم لي من الآثام والخطايا؟! علّمني ذنبي وخطيتي" (أى١٣: ٢٣) .

ويقول لأصحابه "..أريد أن أكلّم القدير، وأن أحاكم إلى الله" (أى١٣: ٣) . ثم يقول لله "أدعُ فأنا أجيب ، أو أتكلم فتجاوبني" (أى١٣: ٢٢) .

"تبحث عن إثمي، وتفتش عن خطيتي" (أى١٠: ٦) .

"إن تبررت يحكم عليّ فمي. وإن كنت كاملاً يستذنبني! (أى٩: ٢٠) .

"إن قلت أنسى كربتي، واطلق وجهي وأتبلج، أخاف من كل أوجاعي، عالماً أنك لا تبرئني" (أى٩: ٢٧، ٢٨) .

"أنا مستذنب، فلماذا أتعب عبثاً؟! ولو اغتسلت في الثلج، ونظفت يدي بالأشنان، فإنك في النقع تغمسني، حتى تكرهني ثيابي!!" (أى٩: ٢٩- ٣١).

"أحسن عندك أن تظلم؟! أن ترذل عمل يديك! وتشرق على مشورة الأشرار" (أى١٠: ٣) .

✠ ✠ ✠

ويقول له : وإن فُرض وأخطأت أليست عندك مغفرة؟!

فيقول لله "إن أخطأت تلاحظني، ولا تبرئني من إثمي!" (أى١٠: ١٤) . "إن أذنبت فويل لى. وإن تبررت لا أرفع رأسى" "إنى شبعان هواناً، وناظر مذلتى" (أى١٠: ١٥) .

"أأخطأت؟ ماذا أفعل لك يا رقيب الناس؟! لماذا جعلتنى عاثوراً لنفسك، حتى أكون على نفسى حملاً؟! " (أى٧: ٢٠) .

"ولماذا لا تغفر ذنبى، ولا تزيل إثمى؟! لأنى الآن أضطجع فى التراب. تطلبنى فلا أكون" (أى٧: ٢١) .

ويقول "..كيف يتبرر الإنسان عند الله؟! إن شاء أن يحاجه، لا يجيبه عن واحد من ألف. هو حكيم القلب وشديد القوة" (أى٩: ٢-٤) .

✠ ✠ ✠

ويعاتب الله قائلاً أنك قوى. فماذا أفعل إزاء قوتك وعظمتك؟!

"لأنى وإن تبررت، لا أجاوب، بل أسترحم ديانى" (أى٩: ١٥).

"هوذا يمرّ على فلا أراه. ويجتاز فلا أشعر به. إذا خطف، فمن يرده؟! ومن يقول له: ماذا تفعل؟!" "الله لا يُرد غضبه. ينحنى تحته

أعوان رهب. فكم بالأقل أنا أجاوبه، وأختار كلامي معه!!" (أي٩: ١١- ١٤) .

"إن كان من جهة قوة القوى، يقول هأنذا. وإن كان من جهة القضاء، يقول : من يحاكمني؟!" (أي٩: ١٩) .

"عنده الحكمة والقدرة . له المشورة والفطنة. هوذا يهدم فلا يُبنى. يغلق على إنسان، فلا يُفتح. يمنع المياه فتيبس. يطلقها فتقلب الأرض" "يحل مناطق الملوك، ويشد أحقاءهم بوثاق.." (أي١٢: ١٣- ١٨) .

ثم يقول لله "إن ارتفع تصطادني كأسد! ثم تعود وتتجبر عليّ" (أي١٠: ١٦) .

✠ ✠ ✠

ثم يقول له : من أنا، حتى تطاردني ؟!

"أترعب ورقة مندفعة؟! وتطارد قشاً يابساً؟! (أي١٣: ٢٥) .

"ما هو الإنسان حتى تعتبره، وحتى تضع عليه قلبك، وتتعهده كل صباح وكل لحظة؟!" (أي٧: ١٧، ١٨) .

"إن قلتُ إن فراشي يعزيني ، مضجعي ينزع كربتي، تريّعني بالأحلام، وترهبني بالرؤى" (أي٧: ١٣، ١٤) .

✠ ✠ ✠

ثم يسأل : لماذا إذن وُلدتُ. ويقول لله : تذكر أنك جبلتني .

"يداك كونتانى وصنعتانى كلى جميعاً. أفتبتلعنى؟!" "أذكر أنك جبلتنى كالطين . افتعيدنى إلى التراب؟!" (أى١٠: ٨، ٩) .

"فلماذا أخرجتنى من الرحم؟! كنت قد أسلمت الروح، ولم ترنى عين. فكنت كأن لم أكن، فأقاد من الرحم إلى القبر" (أى١٠: ١٨، ١٩) .

✠ ✠ ✠

ثم يحتار، إذ ليس مصالح بينه وبين الله .

فيقول عن السيد الرب "فإنه ليس إنساناً مثلى، فأجاوبه، فنأتى جميعاً إلى المحاكمة. ليس بيننا مصالح، يضع يده على كلينا!!" (أى٩: ٣٢، ٣٣) .

✠ ✠ ✠

كل ذلك يقوله أيوب ، شاعراً أن الله قد اقتحمه، وأنه قد سلّمه إلى أعدائه.

فيقول "يقتحمنى اقتحاماً على اقتحام. يعدو علىّ كجبار" (أى١٦: ١٤). ويقول أيضاً "دفعنى الله إلى الظالم، وفى أيدى الأشرار طرحنى. أحاطت بى رماته" (أى١٦: ١١، ١٤) .

ويقول له "خرّبت كل جماعتى. فبضت علىّ. وُجد شاهد" (أى١٦: ٧، ٨) . ولعله يقصد أصحابه الذين شهدوا ضده ...

وفى كل ذلك يبرر أيوب نفسه .

"٧"

أيّوب يُبَرّر نفسه أمام أصحَابه وأمَام الله ويفتخر بمَاله مِن بِرّ وكمال، وَعظمة!

التبرير والتبرئة

★إنها مشكلة تعرض لها سفر أيوب، على فم أيوب وأصحابه :

"كيف يتبرر الإنسان أمام الله" ؟!

★فأليفاز التيمانى يؤكد أن الإنسان لا يتبرر، فيقول :

"من هو الإنسان حتى يزكو؟! أو مولود المرأة حتى يتبرر؟! هوذا قديسون لا يأتمنهم، والسموات غير طاهرة بعينيه فبالحرى مكروه وفاسد، الإنسان الشارب الإثم كالماء" (أى١٥: ١٤- ١٦) .

"هوذا عبيده لا يأتمنهم، وإلى ملائكته ينسب حماقة" (أى٤: ١٨).

★وبلدد الشوحى يكرر نفس المعنى تقريباً، فيقول :

"كيف يتبرر الإنسان عند الله؟! وكيف يزكو مولود المرأة؟! هوذا نفس القمر لا يضئ، والكواكب غير نقية فى عينيه .

فكم بالحرى الإنسان الرمة! وابن آدم الدود" (أى٢٥: ٤- ٦) .

★وأيوب يسأل نفس السؤال ، فيقول :

"صحيح قد علمت أنـه كذا. فكيف يتبرر الإنسان عند اللـه؟!" (أى٩: ٢) .

✠ ✠ ✠

★ويرى أيوب أنه مستذنب، ولا يبرئه الله .

فيقول : "لأنـى وإن تبررت، لا أجاوب، بل استرحم ديانى" (أى٩: ١٥) ويقول للـه "أخاف من كل أوجاعى، عالماً أنـك لا تبرئنى" (أى٩: ٢٨). بل إنه يقول أكثر من هذا "أنا مستذنب، فلماذا أتعب عبثاً؟" "ولو اغتسلت فى الثلج، ونظفت يدىّ بالأشنان، فإنك فى النقع تغمسنى، حتى تكرهنى ثيابى!" (أى٩: ٢٩، ٣٠).

✠ ✠ ✠

★ويعاتب الله الذى يستذنبه ، مع علمه ببراءته .

فيقول له "إن أخطأت تلاحظنى، ولا تبرئنى من إثمـى" (أى١٠: ١٤) .

"فى علمك أنى لست مذنباً، ولا منقذ من يدك" (أى١٠: ٧) .

"معصيتى مختوم عليها فى صرّة، وتلفق علىّ فوق إثمـى!!" (أى١٤: ١٧). ويتجرأ فيقول "لا تستذنبنى. فهمنى لماذا تخاصمنى" (أى١٠: ٣) .

"أحسن عندك أن تظلم! أن ترذل عمل يديك!" (أى١٠: ٣) .

✠ ✠ ✠

★وهو لذلك ، يريد أن يحاكم إلى الله، ويحسن الدعوى أمامه.

فيقول "أريد أن أكلم القدير، وأحاكم إلى الله" "هوذا يقتلنى لا أنتظر شيئاً، فقط أزكى طريقى قدامه" (أى١٣: ٣، ١٥) .

"من يعطينى أن أجده، فآتى إلى كرسيه"

"أحسن الدعوى أمامه، واملأ فمى حججاً" .

"فأعرف الأقوال التى بها يجيبنى، وأفهم ما يقوله" (أى٢٣: ٣، ٤) . "هناك كان يحاجه المستقيم، وكنت أنجو إلى الأبد من قاضىّ" (أى٢٣: ٧) .

"أتكلم فتجاوبنى. كم لى من الآثام والخطايا؟! إعلمنى ذنبى وخطيتى" (أى١٣: ٢٣) .

"إحمرّ وجهى من البكاء، وعلى هدبى ظل الموت. مع أنه لا ظلم فى يدى، وصلاتى خالصة" (أى١٦: ١٦، ١٧) .

"هأنذا قد أحسنت الدعوى. أعلم أننى اتبرر" (أى١٣: ١٨) .

"كامل أنا لا أبالى. رذلت حياتى" (أى٩: ٢١) .

ومع ذلك فإن الله "الكامل والشرير، هو يفنيهما" (أى٩: ٢١، ٢٢).

إتهامات وإفتخَار

قوبل أيوب الصديق باتهامات مرة وظالمة من أصحابه، وبخاصة من أليفاز التيمانى .

أثارته الإتهامات الكاذبة . وكان ردّ فعلها هو الافتخار .

★قال له أليفاز في قسوة وإدعاء كاذب :

"هل على تقواك يوبخك (الله)؟! أو يدخل معك فى المحاكمة أليس شرك عظيماً، وآثامك لا نهاية لها؟!

لأنك ارتهنت أخاك بلا سبب، وسلبت ثياب العراة !

ماءً لم تسقِ العطشان، وعن الجوعان منعت خبزاً!

الأرامل أرسلت خاليات، وذراع اليتامى انسحقت !

لأجل ذلك حواليك فخاخ، ويريعك رعب بغتة"

ثم يدعوه إلى التوبة والرجوع إلى الله قائلاً له "إن رجعت إلى القدير تُبنى. إن أبعدت ظلماً عن خيمتك" (أى٢٢: ٤- ٢٣) .

✠ ✠ ✠

★ويقول له وعنه صوفر النعمانى :

"أما علمت هذا منذ القديم أن .. فرح الفاجر إلى لحظة، ولو بلغ

السماوات طوله، ومسّ رأسه السحاب.." .

"قد بلع ثروة فيتقيأها . الله يطردها من بطنه .." .

"لأنه رضض المساكين وطردهم، واغتصب بيتاً ولم يبنهِ.." .

"السموات تعلن إثمه، والأرض تنهض عليه" .

"تزول غلة بيته، تهرق فى يوم غضبه" .

"هذا نصيب الإنسان الشرير من عند الله.." **(أى٢٠: ٤- ٢٩).**

✠ ✠ ✠

★لهذا أخذ أيوب يرد عليهم شارحاً كماله وبره .

فيقول "حىّ هو الله .. إنه مادامت نسمتى فىّ، ونفخة الله فى أنفى، لن تتكلم شفتاى إثماً، ولا ينطق فمى بغش" (أى٢٧: ٣، ٤) .

"..**حتى اسلم روحى، لا أنزع كمالى عنى**" (أى٢٧: ٥) .

"تمسكت ببرى ولا أرخيه. قلبى لا يُعيّر يوماً من أيامى" (أى٢٧: ٦) . ويقول عن السيد الرب :

"لأنه يعرف طريقى. إذا جربنى أخرج كالذهب" (أى٢٣: ١٠) .

"بخطواته استمسكت رجلى، حفظت شريعته ولم أحد" .

"من وصية شفتيه لم أبرح. أكثر من فريضتى ذخرت كلام فيه"

"أما هو فوحده، من يرده؟! نفسه تشتهى فيفعل" (أى٢٣: ١١- ١٣) .

✠ ✠ ✠

★انفرد أيوب بالكلام خمسة أصحاحات (من ٢٦ إلى ٣١). وكان أصعب كلامه فى الافتخار هو إصحاح ٢٩ وما بعده .

كان جوهر افتخاره مركزاً على عظمته، وعلى بره:

قال "ليتنى كما فى الشهور السالفة، وكالأيام التى حفظنى الله فيها. حين أضاء سراجه على رأسى، وبنوره سلكت الظلمة. كما كنت فى أيام خريفى، ورضا الله على خيمتى. والقدير بعدُ معى، وحولى غلمانى إذ غسلت خطواتى باللبن، والصخر سكب لى جداول زيت.." (أى٢٩: ٢- ٦) .

✠ ✠ ✠

هنا يتذكر العظمة القديمة التى فقدها ، وقلبه يشتهيها !

فيقول "حين كنت أخرج إلى الباب فى القرية، وأهيئ فى الساحة مجلسى. رآنى الغلمان فاختبأوا، والشيوخ قاموا ووقفوا" (هنا العظمة التى عاشها. وماذا أيضاً؟) يقول "العظماء أمسكوا عن الكلام، ووضعوا أيديهم على أفواههم. صوت الشرفاء اختفى، ولصقت ألسنتهم بأحناكهم" .

[لماذا كل هذه الخشية والمهابة التى أصابت كل هؤلاء العظماء، حينما ظهرت يا أيوب، وهيأت فى الساحة مجلسك؟]

يقول "لأن الأذن سمعت فطوبتنى. والعين رأت فشهدت لى"

(أى۲۹: ۱۱) .

✠ ✠ ✠

[هنا كان الخطر الذى هدّد حياة أيوب روحياً] .

الكرامة التى يعيشها كل يوم، والعظمة التى تحيط به من كل جانب. وأيضاً البر الذى تتميز به حياته، والذى وقف يفتخر به، ويستعرض أعماله الصالحة، ويرد بها على اتهامات أصحابه له، فيقول : "لأنى أنقذت المسكين المستغيث، واليتيم ولا معين له"

"بركة الهالك حلّت علىّ، وجعلت قلب الأرملة يسرّ" .

[أى أن الإنسان الذى كان على وشك الهلاك، وأنقذته أنا من الضياع، هذا حلّت بركته علىّ، بدعائه لى بالخير..] .. إلى أن يقول :

"لبست البر فكسانى. كجبة وعمامة كان عدلى" (أى۲۹: ١٤).

✠ ✠ ✠

نعم، هذه هى مشكلة أيوب: كان يعرف عن نفسه أنه بار، ثم صار يتحدث عن بره، حينما أثاره أصحابه باتهاماتهم.. وهكذا يتحدث عن نفسه فى تفاصيل أعماله الصالحة، فيقول :

"كنت عيوناً للعمى، وأرجلاً للعرج" .

"أب أنا للفقراء. ودعوى لم أعرفها ، فحصت عنها" [هنا يتحدث عن وضعه كقاضٍ يفحص الأمور. ويراعى العدل بين الناس].

ويتبع ذلك بقوله : "هشمت أضراس الظالم، ومن بين أسنانه خطفت الفريسة" (أى٢٩: ١٥- ١٧) .

✠ ✠ ✠

ثم يتحدث عن أصله وكرامته ، ووضعه كملك بين الناس .

فيقول "أصلى كان منبسطاً إلى المياه. والطلّ بات على أغصانى' أى كان كشجرة امتدت جذورها. حتى وصلت إلى المياه الباطنية. فلم تعد محتاجة إلى الرى والسقيا، لأن أصولها فى المياه، وأكثر من هذا أيضاً، كان الطلّ (الندى) على أغصانها من فوق.. إلى أن يقول عن وضعه بين الناس:

"كنت أجتاز طريقى، وأجلس رأساً. وأسكن كملك فى جيش، كمن يعزى النائحين" (أى٢٩: ٢٥) .

هذه العظمة ، عظمة من يجلس رأساً وملكاً ، كانت سمة الأيام السالفة، التى كان فيها رضا القدير على خيمته، والصخر سكب له جداول زيت . ولكن ماذا عن حالته الآن ؟

✠ ✠ ✠

قال أيوب عبارة . صدقونى فى أول مرة قرأتها، لم استطع مطلقاً أن أصدق أنها خرجت من فم أيوب!! قال :

"وأما الآن فقد ضحك علىّ أصاغرى أياماً. الذين كنت استنكف من أن أجعل آباءهم مع كلاب غنمى!!" (أى٣٠: ١) .

إلى هذا الحدّ وصل مفعول العظمة فى قلب أيوب؟! يستنكف من أن يجعل آباءهم مع كلاب غنمه!!

أما الآن - فهو يقول - "وأما الآن فصرت أغنيتهم . وأصبحت لهم مثلاً" "يكرهونني. يبتعدون عنى، وأمام وجهى لم يمسكوا عن البصق" (أى٣٠: ٩، ١٠) .

"الآن انهالت نفسى علىّ، وأخذتني أيام المذلة .. قد طرحنى فى الوحل، فأشبهت التراب والرماد" (أى٣٠: ١٦، ١٩) .

نعم ، شتان بين حالة الكرامة والعظمة، وحال المذلة والوحل!!

✠ ✠ ✠

ويعود أيوب إلى التحدث عن أعماله الصالحة .

ويجلب على نفسه اللعنات ، إن كان قد فعل كذا وكذا .

ويشمل هذا كل اصحاح ٣١ من سفر أيوب. وبه تكمل أقواله مع أصحابه الذين استمعوا إليه صامتين ..

بدأ بقوله "عهداً قطعت لعينىّ، فكيف أتطلع فى عذراء؟!"

وقال عن الرب "أليس هو ينظر طرقى، ويحصى جميع خطواتى"

"ليزنى فى ميزان الذهب، فيعرف الله كمالى" (أى٣١: ٦) .

وهذا تأكيد لما قاله من قبل " لأنه يعرف طريقى: إذا جرّبنى، أخرج كالذهب" (أى٢٣: ١٠) . وأيضاً تأكيد لما قاله من قبل عن

كماله: "كامل أنا، لا أبالى" (أى٩: ٢١). ".. لا أنزع كمالى عنى" (أى٢٧: ٥) . "وإن كنت كاملاً يستذنبنى" (أى٩: ٢٠) .

✠ ✠ ✠

أما عن استجلاب اللعنات على نفسه، إن كان قد فعل كذا وكذا.

فيقول "إن كنت قد سلكت مع الكذب، أو أسرعت رجلىّ إلى الغش.." "إن حادت خطواتى عن الطريق" ..

"إن غوى قلبى على امرأة ، أو كمنت على باب قريبى.." .

"إن كنت رفضت حق عبدى وأمتى فى دعواهما علىّ.." .

"إن كنت منعت المساكين عن مرادهم.. أو أكلت لقمتى وحدى، فما أكل منها اليتيم.." ... فليحدث لى كذا وكذا

"إن كنت قد جعلت الذهب عمدتى، أو قلت للأبريز أنت متكلى.." ... فليحدث لى كذا وكذا

"إن كنت قد فرحت ببلية مبغضى، أو شمتّ حين أصابه سوء.."

"غريب لم يبت فى الخارج. فتحت للمسافر أبوابى" .

✠ ✠ ✠

★ويختم أيوب افتخاره بأن يتحدى كل من يتهمه ، فيقول :

"**من لى بشكوى كتبها خصمى: فكنت أحملها على كتفى. كنت أعصبها تاجاً لى**" (أى٣١: ٣٥، ٣٦) .

أمام كل هذا الافتخار والبر الذاتى، سكت أصحاب أيوب ، ولم

يتابعوا الحوار معه بعد . وفى ذلك يقول الوحى الإلهى :

"فكف هؤلاء الرجال الثلاثة عن مجاوبة أيوب، لكونه بارا فى عينىَ نفسه" (أى٣٢: ١) .

فما الذى حدث بعد ذلك ؟ وكيف انتهت قصة أيوب وتجربته .؟

"٨"

أيوبّ البَار
في عَيني نفسه
والعظيم بين قومه
كيف أوصَلَه الله إلى
الانسحاق، وانتهت تجربته؟

بَار في عيني نفسه

هكذا قال الوحي الإلهى "فكفَ هؤلاء الرجال الثلاثة عن مجاوبة أيوب، لكونه باراً فى عينى نفسه" (أى٣٢: ١).. حقاً إنه من الصعب التحاور مع إنسان يكون باراً فى عينى نفسه .

ولم يكن هذا شعور أصحابه الثلاثة فقط، بل إن الصديق الرابع [أليهو] الذى كان صامتاً بينهم، لم يستطع أن يقاوم صمته بعد ما لاحظه من البر الذاتى لأيوب. وهنا يقول الكتاب :

"فحمى غضب أليهو بن برخئيل البوزى من عشيرة رام. على أيوب حمى غضبه، لأنه حسب نفسه أبرّ من الله! وعلى أصحابه الثلاثة حمى غضبه، لأنهم لم يجدوا جواباً واستذنبوا أيوب" (أى٣٢: ٢، ٣) .

فماذا فعل أليهو ؟ وماذا قال ؟

كـــلام أليهـــو

اليهو يعلمنا احترام الكبار، ولكن ليس فوق الحق .

كان قد صمت طول مدة الحوار بين أيوب وأصحابه "لأنهم كانوا أكثر منه أياماً" (أى٣٢: ٤) ، أى أنهم أكبر منه سناً. ولكن "لما رأى أنه لا جواب فى أفواه الرجال الثلاثة" ، "وليس من حاجج أيوب" حينئذ حمي غضبه" (أى٣٢: ٥، ١٢) .

فقال لهم "أنا صغير الأيام، وأنتم شيوخ. لأجل ذلك خفت، وخشيت أن أبدى لكم رأيى. قلت الأيام تتكلم، وكثرة السنين تظهر حكمة" (أى٣٢: ٦، ٧) . فلما لم يظهروا تلك الحكمة، اضطر أن يتكلم .

✠ ✠ ✠

يبدو أليهو – فى تجربة أيوب – إنساناً ذا هيبة، يكلم أولئك الشيوخ بسلطان. ولم يجادله أحد. كان كمن يمثل الله .

وقد ردّ على أيوب فى كثير من أقواله، ووبخه .

كان أيوب قد قال "أريد أن أحاكم إلى الله" (أى١٣: ٣) "وأحسن الدعوى أمامه" (أى٢٣: ٤) . وقال لله "لا تدع هيبتك ترهبنى" (أى١٣: ٢١) .

فردّ عليه أليهو فى مهابته وقال "إن استطعت فأجبنى، وأحسن
عوى أمامى. انتصب. هأنذا - حسب قولك - عوضاً عن الله.
أيضاً من الطين تقرصت. هوذا هيبتى لا ترهبك، وجلالى لا
ـ عليك" (أى٣٣: ٥- ٧) .

✠ ✠ ✠

وبدأ أليهو يناقش أيوب ، ويرد على كل نقطة. وواجهه :
"قلت أنا برئ بلا ذنب. زكىّ أنا ولا إثم لى. هوذا يطلب علىّ
ل عداوة، يحسبنى عدواً له .. يراقب كل طرقى" "ها أنك فى هذا
تصب" (أى٣٣: ٩- ١٢) .

وأفحمه بنقطتين : أولاً - إن الله لا يناقش فى أحكامه. إذ قال
"لماذا تخاصمه؟ لأن كل أموره لا يجاوب عنها" (أى٣٣: ١٣).
النقطة الثانية هى أن الله "يودب بالوجع" ليمنع عن الإنسان
كبرياء والمجد الباطل. وهكذا قال عن الله: "ليحول الإنسان عن
ملمه، ويكتم الكبرياء عن الرجل، ليمنع نفسه عن الحفرة" (أى٣٣:
١٠- ١٩) "ليرد نفسه من الحفرة، ليستنير بنور الأحياء" (أى٣٣:
٣٠) .

✠ ✠ ✠

ومن العبارات الهامة التى نطق بها أليهو، ما ذكره عن الفدية،
والقيامة، والإنقاذ من التجربة والموت ...

إنها كلمات عزاء يقولها لأيـوب عن عمـل اللـه "يعلن للإنسـان استقامته" "يترءف عليه. ويقول أطلقه من الهبـوط إلـى الحفـرة، قد وجدت فدية" "يصير لحمه أغض من لحم الصبى، ويعود إلى أيام شبابه" "يصلى إلى الله، فيرضى عنه، ويعاين وجهه بهتـاف. فيرد على الإنسان بره" (أى٣٣: ٢٤- ٢٦) .

ومن أجمل كلماته المعزية ، قوله لأيوب :

"تكلم ، فإنى أريد تبريرك" (أى٣٣: ٣٢) .

ويتبعها بقوله "وإلا، استمع أنت لـى. أنصت فـأعلمك الحكمـة" عجيبة هذه العبارة يقولها اليهو فى مهابة لشيخ مثل أيوب! ولكنه كما قلت : كان يمثل الله فى مواجهة أيوب، بل كان يمهد لمخاطبة الله له ...

✠ ✠ ✠

كيف إذن علمه الحكمة؟ بتوبيخ، وبنصيحة .

أما النصيحة فهى، لكى يرد اللـه عليه بـره: "يغنـى بين النـاس ويقول: قد أخطأت وعوّجت المستقيم، ولم أجـاز عليـه. فدى نفسى من العبور إلى الحفرة" (أى٣٣: ٢٦- ٢٨) .

وأيضاً أيوب لم يحسن التخاطب مع الله، كما شرح أليهو: "هل لله قال : احتملت . لا أعود أفسد. مـا لم أبصـر، فأرنيـه أنـت. إن

كنتُ قد فعلتُ إثماً، فلا أعود أفعله.." (أى٣٤: ٣١، ٣٢) .

✠ ✠ ✠

وهكذا فإن أليهو وبخ أيوب ، فقال عنه :

"إن أيوب يتكلم بلا معرفة، وكلامه ليس بتعقل" "أضاف إلى خطيته معصية. يصفق بيننا، ويكثر كلامه على الله" (أى٣٤: ٣٥، ٣٧) .

"لأن أيوب قال : قد تبررت، ونزع الله حقى.. جرحى عديم الشفاء من دون ذنب" "فأى إنسان كأيوب، يشرب الهزء كالماء؟!" (أى٣٤: ٥- ٧) .

ووبخه قائلاً "أتحسب هذا حقا؟! قلتَ أنا أبر من الله!!" (أى٣٥: ٢) . "إن كنت باراً، فماذا أعطيته؟! أو ماذا يأخذه من يدك؟!" (٣٥أى: ٧). وختم هذا الجزء من كلامه بقوله "فغر أيوب فاه بالباطل، وكبّر الكلام بلا معرفة" (أى٣٥: ١٦) .

✠ ✠ ✠

ودافع أليهو عن عدل الله وعظمته ، فقال :

"حاشا لله من الشر، وللقدير من الظلم. لأنه يجازى الإنسان على فعله.." "فحقاً إن الله لا يفعل سوءاً، والقدير لا يعوج القضاء" (أى٣٤: ١٠- ١٢) . "لا يحابى بوجوه الرؤساء.. لأن عينيه على طرق الإنسان، وهو يرى كل خطواته" (أى٣٤: ١٩، ٢١) .

"هوذا الله عزيز ، ولكنـه لا يرذل أحداً" "لا يحوّل عينيـه عـن البار" (أى٣٦: ٥، ٧) "هوذا الله يتعالى بقدرته. من مثلـه علمـاً؟!.. أو من يقول له : قد فعلت شراً؟! (أى٣٦: ٢٢، ٢٣) .

✠ ✠ ✠

ويختم أليهو حديثه مع أيوب ، بقوله :

"أنصت إلى هذا يا أيوب، وتأمل بعجائب الله" "القدير لا ندركـه، عظيم القوة والحق، وكثير البر. لا يجاوب" (أى٣٧: ١٤، ٢٣) .

المهم فى كل ما قاله أليهـو، أن اللـه لـم يقـل عليـه إنـه جـانب الصواب، مثلما قال عن صوفر، وبلدد، وأليفاز...

كان كلامه صواباً. وكان تمهيداً لكلام الله مع أيوب .

وقبل أن نبدأ بما قالـه اللـه لأيـوب ، يحسـن بنـا جـداً أن نشـرح خطة الله - تبارك إسمه - فـى قصـة تجربـة أيـوب، ولمـاذا سـمح بها؟ وماذا كانت حكمته؟

حكمة اللــه وخطته

كان الله يرى أموراً تحارب أيوب بالبر وبالعظمة .

★الغنى الواسع الكبير، الذى كان فيه "أعظم كـل بنـى المشـرق" (أى١: ٣) إذ كـان لـه سـبعة آلاف مـن الغنـم، وثلاثـة آلاف جمـل،

وخمسة مئة فدان بقر، وخمسة مئة أتان. وكان خدمة كثيرين جداً (أى١: ٣) .

★وكانت له الأسرة الكبيرة: سبعة بنين، وثلاث بنات (أى١: ٢)

★ومن جهة البر، "كان كاملاً ومستقيماً، يتقى الله ويحيد عن الشر" (أى١: ٨) . وكان يحسن إلى الأرامل واليتامى، ويشفق على الفقراء. كان عيوناً للعمى، وأرجلاً للعرج، وأباً للفقراء (أى٢٩: ١٢- ١٦) .

★وكل هذا جعله محبوباً جداً من المساكين، ومحترماً جداً من العظماء، يهابه الكل ويمتدحونه. الأذن سمعت فطوّبته، والعين رأت فشهدت له (أى٢٩: ٧ - ١١) .

✠ ✠ ✠

فى كل هذا ، كان الله يريد انقاذه من العظمة والبر الذاتى .

وكان لابد لتنفيذ ذلك من عملية تجريد واسعة النطاق .

فلما حسد الشيطان أيوب ، سمح له الله بضربه، من أجل خير أيوب روحياً، لينقذه من العظمة والبر، ويريه أنه من الممكن أن يخطئ، وأن يثار، وأن يتعب من التجربة، وأن يفتخر ويدافع عن نفسه ...

ثم بعد ذلك يعيد الله بناءه الروحى، على أساس من الانسحاق

✠ ✠ ✠

وقد كان : فتم تجريده من كل ما يملك : من البقر والأتن والغنم والجمال، ومن البيت الذى يسكنه. كما جرده أيضاً من بنيه وبناته، ثم جرّده أيضاً من احترام الناس له. حتى أن أصدقاءه الذين بكوا أولاً اشفاقاً عليه، عادوا فجرحوه كثيراً واتعبوا نفسيته، واعتبروه خاطئاً يعاقبه الله، ويحتاج إلى توبة. وفى محيط أسرته: أقاربه خذلوه، ومعارفه نسوه. وأصبح يدعو عبده فلا يجيبه، فيتضرع إليه. وأصبحت رائحته مكروهة عند إمرأته (أى١٩) .

أما عن نفسيته فى الداخل، فكشف له الله كيف هى ضعيفة تتأثر بالإتهام وتثور وحتى مع الله كيف أنه فى عتابه له، يتهم الله بالظلم، وبأنه يستذنبه وهو يعلم ببراءته، ويفتش له على خطية (أى١٠) .

وكيف أنه يفتخر ويقول : أنا بار . أنا كامل . التهم التى توجه إلىّ، أنا أضعها تاجاً فوق رأسى. إذا جرّبنى أخرج كالذهب ...

✠ ✠ ✠

حتى أن أصحابه الثلاثة كفوا عن الحوار معه، لأنه بار فى عينىّ نفسه، ولأنه حسب نفسه أبرّ من الله (أى٣٢: ١، ٢) .

ولدرجة أن اليهو قال عنه "الله يغلبه لا الإنسان" (أى٣٢: ١٣).

فكان لابد من أن يتدخل الله .

تدخل الله

الله الذى بدأ بتجريد أيوب من المال والصحة واحترام الناس، تدخل أخيراً لكى يجرده من العظمة والبر الذاتى .

لكى ينقيه ويطهره ويعيد إليه كماله ، من جهة .

ولكى يرد سبيه ، وينهى هذه التجربة المرة لصالحه .

وأيضاً ليهبه حياة بارة سعيدة مؤسسة على انسحاق القلب .

وهكذا بعد أن انتهى أليهو بن برخئيل البوزى من إعداد الطريق قدامه، كرسالة يوحنا المعمدان فى أن يهيئ للرب شعباً مستعداً (فيما بعد) [لو١: ١٧].. أخيراً تكلم الرب من العاصفة، ليرد أيوب إلى طقسه.

✠ ✠ ✠

بدأ الله بإشعار أيوب بضعفه وجهله، وظلمه للتدبير الإلهى .

فقال "من هذا الذى يظلم القضاء بكلام بلا معرفة؟!" (أى٣٨: ٢) .. بداية حاسمة، وكأنها الخاتمة.. قطعاً إن الذى لا يدرك حكمة التدبير الإلهى، إنما يقع فى الظلم، وفى الجهل بمقاصد الله الخيّرة..

ثم سخر به الله قائلاً "أشدد الآن حقويك كرجل. اسألك فتعلّمنى!! أين كنت حين أسست الأرض؟ أخبر إن كان عندك فهم! من وضع قياسها؟ لأنك تعلم!! (أى٣٨: ٣– ٥) .

✠ ✠ ✠

وظل الله يسأل أيوب أسئلة فى الخليقة حتى أعجزه .

وحتى قال أيوب فى انسحاق "ها أنا حقير، فماذا أجاوبك؟! وضعت يدى على فمى. فمرةً تكلمت فلا أجيب، ومرتين فلا أزيد" (أى٤٠: ٤، ٥) .

واستمر الرب فى توبيخ أيوب، وفى مزيد من الأسئلة ، قائلاً له: "الآن أشدد حقويك كرجل. اسألك فتعلمنى (فتعرفنى)":

"**ألعلك تناقض حكمى؟! تستذنبنى لكى تتبرر أنت!!**" (أى٤٠: ٧، ٨) .

✠ ✠ ✠

وقال له مرة أخرى فى سخرية "تزين الآن بالجلال والعزّ، والبس المجد والبهاء!! فرّق فيض غضبك، وانظر كل متعظم واخفضه. انظر إلى كل متعظم وذلّله" (أى٤٠: ١٠- ١٢). وكانت هذه العبارة، تذكّر أيوب بأنه كمتعظم، يلزمه أن يخفضه الله ويذلله، وكأنه وضع نفسه موضع الله !

وقال له أيضاً فى سخرية "أنا أيضاً أحمدك، لأن يمينك تخلصك!!" (أى٤٠: ١٤).. واستمر فى كلامه، إلى أن ذكر من هو "ملك على كل بنى الكبرياء" (أى٤١: ٣٤) .

✠ ✠ ✠

إنسحاق أيوب ونهاية التجربة

نجح الله فى خطته ، وأوصل أيوب إلى انسحاق القلب من الداخل. وبه كانت التجربة قد وصلت إلى هدفها الروحى، فانتهت مدتها .

وهكذا "أجاب أيوب الرب فقال : قد علمت أنك تستطيع كل شئ، ولا يعسر عليك شئ.." (أى٤٢: ٢) .

"ولكنى قد نطقت بما لم أفهم . بعجائب فوقى لم أعرفها" .

عبارة نطقت بما لم أفهم، اعترف فيها أيوب بأخطائه فى كل ما قاله لأصحابه، وما قاله لله، واعتبر أنها خطية جهل. وأنه كان يتكلم كإحدى الجاهلات، كما قال لإمرأته قبلاً (أى٢: ١٠) والقياس مع الفارق . وأنه فعلاً "الشر لم يقبل" بل ثار عليه واحتج وحزن وشكا، وتغير عما قاله قبلاً . وكان فى وضع فاقد لحياة الشكر ولحياة التسليم!!

طبعاً هناك فرق بين أيوب الكامل المستقيم قبل التجربة (أى١: ٨). وأيوب بعد التجربة الذى قال له أليهو "ها أنك فى هذا لم

تصبب" (أى٣٣: ١٢) .

✠ ✠ ✠

وعبارة "عجائب فوقى لم أدركها" التى قالها فى انسحاقه .

لعلها تعنى أيضاً عجائب الـرب فـى مقـاصده الإلهيـة، وسـماحه بهذه التجربة لخيره وتنقيته ومكافأته .. هذه أيضاً لم يدركها ، فتكلـم بما لم يفهم ...

عبارة عجائب لم أعرفها، تقدم لنا مبدأ روحياً هو :

هنـاك أمـور فـى حكمـة اللـه، علينـا أن نقبلهـا، وإن كنـا لا نعرفها...

كان أيوب يقول قديماً فى تعجب واستنكار : "هل الخير من اللـه نقبل، والشر (أى المتـاعب) لا نقبـل؟! (أى٢: ١٠). ولكـن مشـكلته فى تجربته، أنه انتقـل مـن مبدأ القبـول إلـى مبدأ الفهـم والإدراك. فأصبح ما لا يدركه ، يتكلم بأقوال ضده . ولكنه فى انسـحاقه شـعر بذلك الخطأ. لأن هناك حكمة من الله، قد لا ندركهـا، هـى عجـائب فوق فهمنا، ولكن علينا أن نقبلها ...

✠ ✠ ✠

وهكذا قال لله بعد ذلك "اسمع الآن وأنا أتكلم. اسألك **فتعلمنى**" . هنا لا يقف من الله موقف المحاور والمجادل والمجاوب والمنـاقش. وإنما فى اعترافه بجهله، يقف كتلميذ يقـول للـه "**اسـألك فتعلمنـى**" .

لقد تجرد هنا من فهمه ، حسب قول الوحى الإلهى فيما بعد "وعلى فهمك لا تعتمد" (أم٣: ٥) .

وكما اعترف بجهله، وبنطقه بما لم يفهم، كذلك وجد واجباً عليه أن يرفض ذاته وأشياء كثيرة فقال :

لذلك أرفض واندم فى التراب والرماد" (أى٤٢: ٦) .

✠ ✠ ✠

يرفض كل أفكاره أثناء احتجاجه . يرفض ما قاله فى تبرير نفسه. يرفض عبارة أنا كامل، وعبارة أنا بار. يرفض ما قاله عن عداوة الله له، واتخاذه خصماً له. يرفض عبارة يستذنبنى، وفى علمه أننى بار. يرفض عبارات : يفترسنى. يقتلنى. أهوال الله مصطفة ضدى. يرفض أيضاً كل ما قاله عن عظمته (أى٢٩، ٣٠) ويندم على ذلك . فى التراب والرماد .

حقاً بعد ما عرفته يارب عن عظمتك غير المحدودة، أصبحت فى نظر نفسى – مجرد تراب ورماد .

✠ ✠ ✠

ولما وصل أيوب إلى التراب والرماد ورفض الذات، انتهت تجربته .

بقى عليه قبل أن يرد الله سبيه، أن يصلى من أجل أصحابه، أولئك الذين قال عنهم أنهم "معزون متعبون، وأطباء بطالون" ،

وقال عن حديثهم معه "أما من نهاية لكلام فارغ!" .

وأمر الرب اليفاز التيمانى وصاحبيه أن يذهبا إلـى أيوب، لكى يصلى من أجلهم ويشفع فيهم، وإلا يصنع معهم الـرب حسب حماقتهم (أى٤٢: ٨) قائلاً لهم "لأنكم لم تقولوا فىّ الصواب كعبدى أيوب".

✠ ✠ ✠

نلاحظ أن أيوب - لما تاب وندم - لم يذكر له الرب ما وقع فيه من أخطاء بعد التجربة .

كما قال الرب فـى سفر ارمياء النبى "أصفح عن إثمهم، ولا أذكر خطيتهم بعد" (أر٣١: ٣٤). وكما قال فى سفر حزقيال النبى "كل معاصيه التى فعلها لا تُذكر عليه. فى بره الذى عمل يحيا" (حز١٨: ٢٢) .

✠ ✠ ✠

"**ورد الرب سبى أيوب ، لما صلّى لأجل أصحابه**" .

"**وزاد الرب على كل ما كان لأيوب ضعفاً**" (أى٤٢: ١٠) .

"وبارك الرب آخرة أيوب أكثر من أولاه". ووهبه الله ضعفاً فى الغنم والإبل والأتن التى فقدها (أى٤٢: ١٢) (أى١: ٣) . ولكنه لم يعطه ضعفاً فى البنين والبنـات، لأنهم لم يفقدوا. هم أحياء "ليس موت لعبيدك يارب، بل هو انتقال" . وهكذا بقى لأيوب بعد التجربة

سبعة بنين وثلاث بنات، كما كان له من قبل . فيكون الضعف هو عدد ما رزق به بعد التجربة. مع عدد الذين ماتوا ...

أما الميزة والمكافأة ، فهى قول الكتاب "ولم توجد نساء جميلات كبنات أيوب فى كل الأرض" (أى ٤٢: ١٥) .

هل نتجرأ ونقول : أعطاه أيضاً ضعفاً فى العمر، إذ عاش بعد التجربة ١٤٠ سنة (أى٤٢: ١٦) إذا افترضنا أن عمره كان أثناء التجربة ٧٠ عاماً ...

حقاً كما قال يعقوب الرسول : "قد سمعتم بصبر أيوب، ورأيتم عاقبة الرب. لأن الرب كثير الرحمة ورؤوف" (يع٥: ١١) .

✠ ✠ ✠

نتعلم من تجربة أيوب ، أن لكل تجربة نهاية .

لا توجد مشاكل أو متاعب فى صعود إلى ما لا نهاية . إنما المتاعب لها شكل هرمى، يصل إلى قمته ثم ينحدر .

ويعجبنى قول أيوب فى عمق تجربته : "قد علمت أن ولىّ حىّ، والآخر على الأرض يقوم. وبعد أن يفنى جلدى هذا، وبدون جسدى، أرى الله" (أى١٩: ٢٥، ٢٦). ولكن سمح الله له أن يراه، قبل أن يفنى جلده، وقبل خروج روحه من جسده. فقال للرب "بسمع الأذن سمعت عنك، والآن رأتك عينى" (أى ٤٢: ٥) .

كتب للبابا
عن شخصيات الكتاب

١ - آدم وحواء / قايين وهابيل

٢ - يعقوب ويوسف .

٣ - موسى وفرعون .

٤ - يونان النبى .

٥ - مارمرقس الرسول .

٦ - (هذا الكتاب) أيوب الصديق وتجربته .

٧ - (تحت الطبع) : داود النبى

الفهرست



بسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد آمين

يحدثك هذا الكتاب عن :

* ما هو العصر الذي عاش فيه أيوب.
أيوب وموطنه وموطن أصحابه.
* تجربة أيوب الصديق: لماذا سمح بها الله، ولماذا كانت أسبابها وأهدافها الروحية لخير أيوب
* الجولات الأربع التي حارب فيها الشيطان أيوب الصديق .
* الأخطاء التي وقع فيها أصحاب أيوب. هل كانت التجربة سببها الخطية كما قالوا؟
* إثارة أيوب وما سببته له من أخطاء وبخه عليها أليهو .
* شخصية أليهو بن برخئيل
* الله في سفر أيوب وحكمته وعظمته ورده على أيوب

البابا شنوده الثالث

